

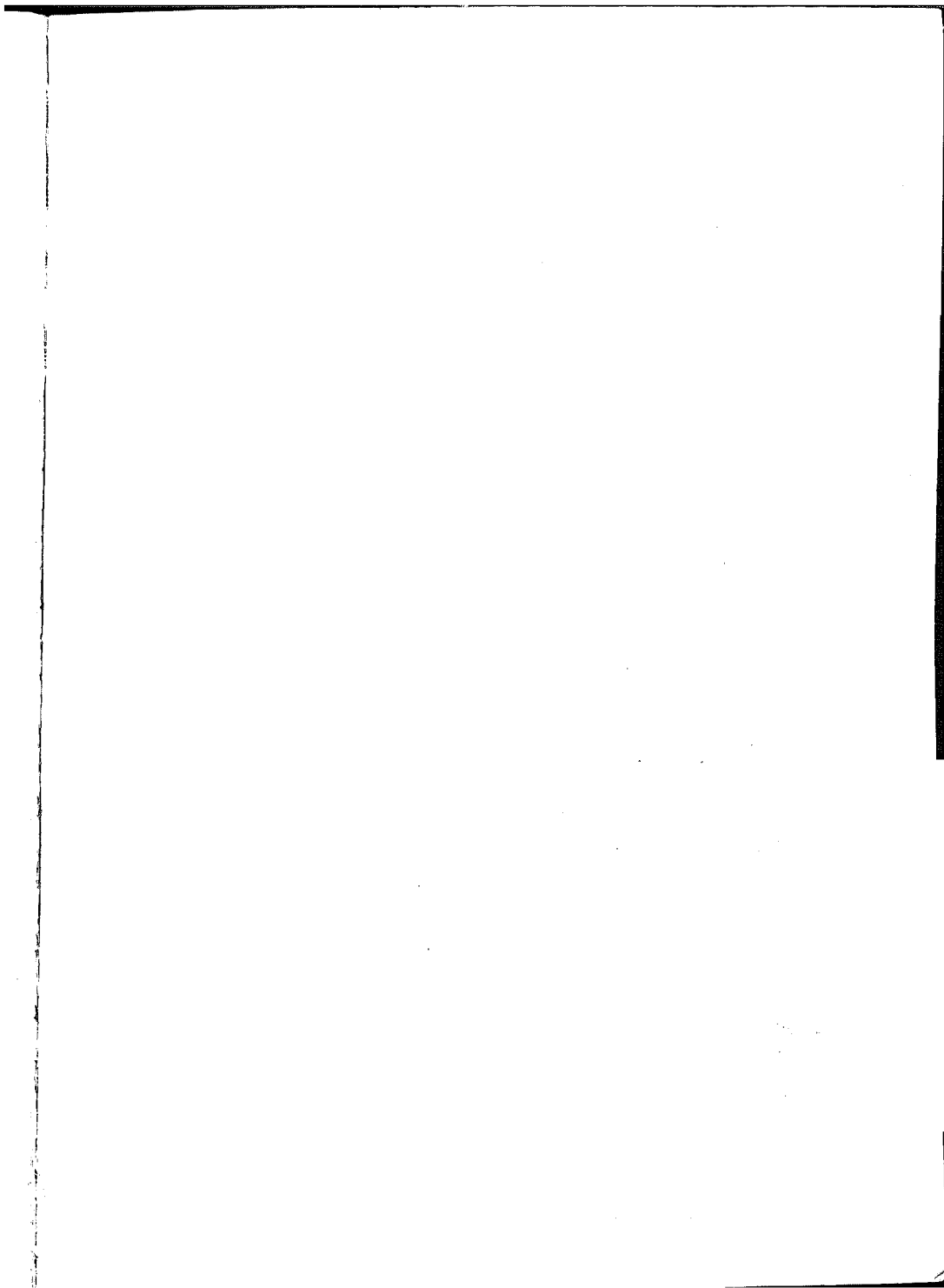
عبد المحمّد بن عبد الوهّاب



المستفيع



عبد الوهّاب



كتب عربي
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية (شراء)

رقم التسجيل 75197

890-738
سج
مطبعة بنتي هلال

المستقع

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

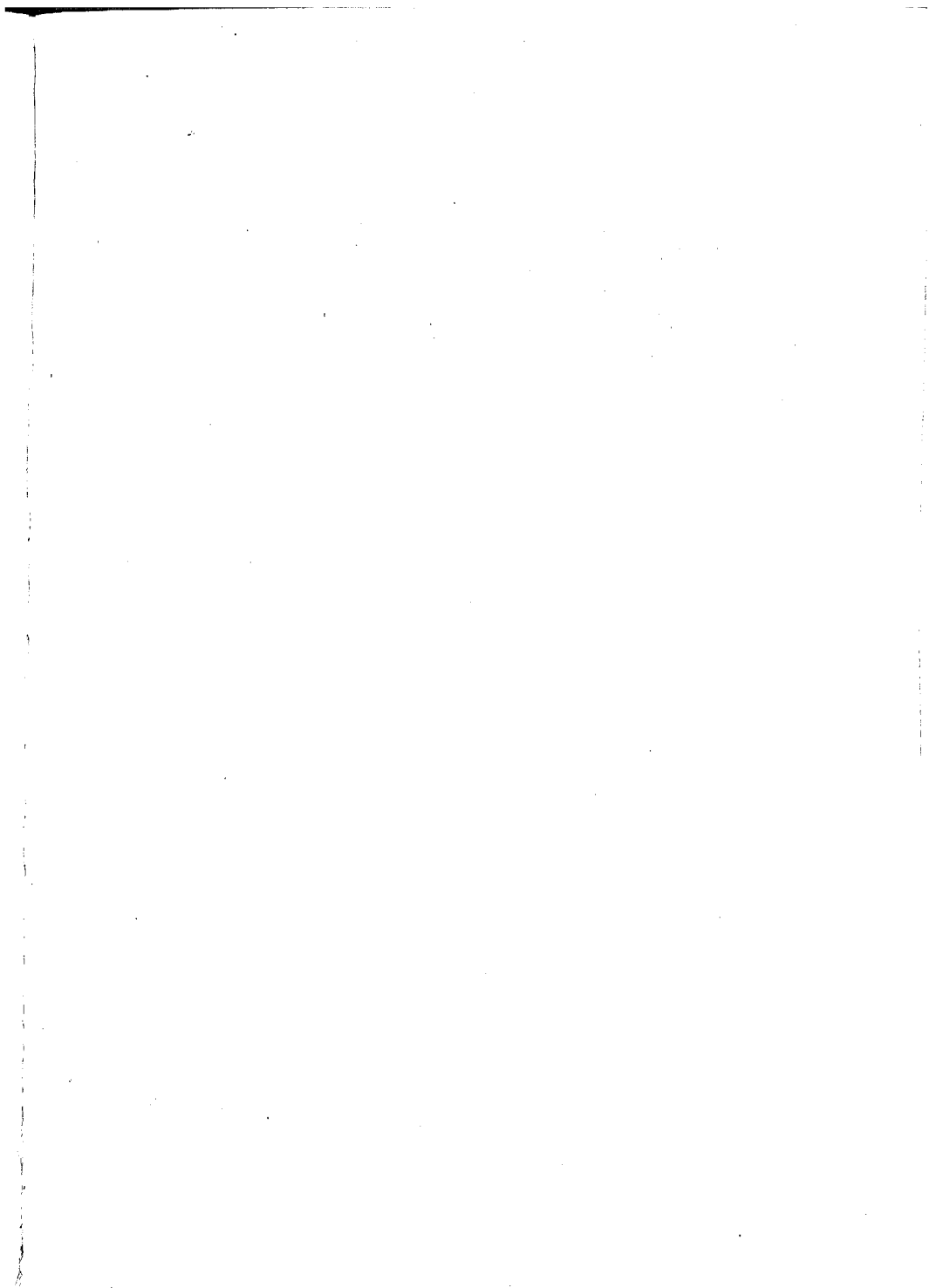
الناشر

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية



١

— لا بد أن نتزوج .

— تريث يا فؤاد .

— نفذ صبري ، سنة كاملة وأنا أنتظر ، لم أعد قادرا على كبت
مشاعري ، النار تتلظى في جوفي كلما ضمنتك إلى صدري ،
والوساوس تتضخم في رأسي وتنساب كالأبالسة تفح في أعماق تغريبي
بك ..

بت أخشى نفسي ، أخاف أن ينتصر ضعفي ، أن يفلت مني زمام
أمرى ، أن أرتكب ما أخشاه . إن كبح مشاعري الفوارة يرهقني ،
يستبد بي ، يزلزل كياني ، حتى إنني أرتجف كلما وقع في خلدي أن
إرادتي قد تتقوض ، وأن الوحش المتربص في أغوارى قد ينطلق .
لو عصفت بنا رغبتنا واستسلمنا للإغراء لن أغفر لنفسي ، سأحيا قلنا
معذبا ، فأنا أريد زوجتي طاهرة الذيل حتى ليلة الزفاف .
وتلفتت سهير في قلق ثم قالت :

— لو رفضوا زواجنا لانهارت آمالنا ، وتحطمت سعادتنا ، وتلاشى

الحلم اللذيذ الذي نعيش فيه .

— إننا نهاب وهما ، فكرة نبتت في رأسك وجعلت تنفخين فيها يوما

بعد يوم حتى صارت ماردا جبارا يفزعنا ، إنني لأدري لماذا يرفضون
زواجنا ..؟

قالت سهير في إشفاق :

— قلت لك لن يوافقوا أبداً على أن أتزوج قبل سوسن .

— ألاً أنها أكبر منك لا بد أن تتزوج أولاً ؟ ما أحسب أن هذا يكون .

فقالت سهير في خوف :

— إنك لا تعرف سوسن ، أمى تتحاشى غضبها وتحشى ثورتها ، وأبى

ترك لها الحبل ..

وصمتت سهير . لم تشأ أن تسترسل في ذم أختها . وأحست

تضاًؤلاً . وقال فؤاد في غضب :

— سوسن .. سوسن ، أتقف سوسن في سبيل سعادتنا دون أن نحرك

ساكننا ؟ وما ذنبنا إذا كانت سوسن لم يخفق بحبها قلب ولم يتقدم لطلب

يدها إنسان . صرت أمقت سوسن دون أن أراها ، غرست في قلبي

بغضها ، بت أتصورها غولاً منقضا لاخطاف هناعى ، وحشا مكشرا

عن أنيابه لافتراس سعادتي ، عاصفة هوجاء تقتلع أمبى .

وصمت قليلاً يلتقط أنفاسه ، وراحت ثورته تهدأ وانقشع غضبه ،

فهو سريع الانفعال ما أسرع أن يغضب وما أسرع أن يرضى ، وأحس أنه

كان قاسياً على سوسن فقال في هدوء :

— ماذا فعلت سوسن حتى نطوى قلوبنا على بغضها ؟ إنها لم تفعل شيئاً

ولا تدرى ما بيننا ولا تحس وجودنا ، إنها أوها مننا تبذر في نفوسنا البذرة ثم

تتركها لنا نرعاها ونسقيها ونجنى الأباطيل .

ولحمت سهير رجلاً قادماً فأطرقت وأشاحت بوجهها حتى لا يراها ،

وفطن فؤاد إلى حركتها فتحركت ثورته وقال في انفعال :

— حتى متى نخشى أن ييرانا الناس معا ؟ إننا ننسل كاللصوص إلى هنا

ونحن نتلفت كأننا خفافيش الليل جئنا نقطف الشمرة المحرمة ، تنخلع قلوبنا مادنا منا إنسان ، يرهنا صفير الرياح أو حفيف الشجر ، إن ما بيننا يجب أن يعلن ، أن يعرف الناس جميعا أننا متحابان . أفي الحب عيب ؟ ولكنها مخاوفك وأوهامك ، لم أعد أحتمل هذا الهوان .

وقام فؤاد ونهضت سهير وسارا في طريق رملي وقد خلفا المقهى القابع في الصحراء. خلفهما ، ثم انطلقا في الطريق العام .

كان فؤاد طويل القامة ، عريض الكتفين ، له قوام رياضي . وكان شعره أسود خشنا أقرب إلى فرشاة الشعر ، وكان مقرون الحاجبين ، واسع العينين ، بارز الفكين ، يزين وجهه شارب قصير تحت أنفه الأشم ، وكانت ملامحه توحى بالصرامة ولكنها ما كانت تكشف عن حقيقة معدنه ، كان طيب القلب ، سليم الطوية ، ما أيسر أن يمدح . وكان بارز العضلات قوى البنية ، ولكنه لم يكن جريئا ، فما أسرع أن ينكمش ويدخل قوقعة نفسه إذا استشعر أنه ارتكب خطأ . وكان يتحمل نتائج أخطائه لا عن شجاعة فيه ، بل خشية السنة الناس .

كان يرتدى قميصا أبيض قصير الكمين مفتوح الصدر ، يكشف عن ذراعين مفتولتين ، وعن الشعر الغزير الذي يغطي صدره ، والسلسلة الذهبية الرفيعة التي تطوق عنقه ، وتنتهي بدائرة حفر فيها اسمه .

وكانت سهير في الثامنة عشرة ، كانت تصغره بخمس سنوات أو ست على الأكثر ، ولكنها كانت أكثر منه تجربة ومعرفة بالحياة . لم تكن قصيرة القامة ، ولم تكن فارعة الطول ، كانت وسطا وإن كانت لا تكاد تصل إلى كتفه . وكانت ترتدى قميصا ضيقا يجسم فتنتها و« جونيلة » واسعة تجدد الخصر وتغطي الساقين المتناسقتين والأرداف المستديرة الممتلئة .

وكان شعرها أسود يتهدل على كتفها ، وعيناها دعجاوين ، وشفاتها رقيقتين . وكانت بسمتها سر فتنها ، إذا انفرجت عن أسنانها النضيدة تفتحت القلوب . كان فيها ذلك الشيء المجهول الذى يجعل النفوس تهفو إليها .

كانت تحبه ، وكانت صادقة فى حبها ، تتمنى أن يغريها على الفرار وأن يواجهها العالم معا فى صباح يوم ويعلنا أنهما قد صارازوجا وزوجة ، ولكنه لم يكن من ذلك الطراز . لأنه يريد أن يأتى البيوت من أبوابها ، وإنما لتهاج من كل ما يتربص بها خلف الأبواب .

وكانت مصاييح الطريق خافتة لا تكاد تبدد الظلام الدامس الثقيل . وكان الهدوء شاملا يحرك المشاعر ، ويعبث بالأفئدة ، ويدير الرعوس . والتصقت سهير به ، فالتفت ذراعه المفتولة حول خصرها الدقيق ، ونبتت إحساسات لذيدة فى أعماقه ، وتدفتت الدماء حارة فى عروقه ، واهتزت خلجات نفسه فى مرح ، ومشى فى أوصاله خدر لذيد ، واستشعر رغبة فى أن يضمها إليه . ونامت أجهزة التخدير ، فاحتواها بين ذراعيه القويتين ، وهوى بشفتيه على شفيتها يعب خمرها التى أدارت رأسه .

ووسوست له نفسه أن يعب كأس اللذة كاملة ، أن يطفىء النار التى تتلظى فى أحشائه ، أن ييمت الرغبة الجارحة التى تعصف به ، أن يغيب عن وجوده فى الغيوبة المشتهة التى أخذت تلفه وتدغدغ جوارحه . ولكنه أصم أذنيه عن الوسوسة الحبيبة ، لا عن قدرة ، بل لأنه كان أضعف من أن يستجيب لها .

لأنه يجفل من الفكرة ، يهاجها وتذهب نفسه منها شعاعا . ولو أن سهير لم

تكتف بالاستسلام له ، بل تحركت حركة ، لاجتاز العقبة ولقطف ما يشتهي ، وإن تشدق بأنه لا يرضاه .
وأفاق من خدر القبلة ، إنها أقصى ما يستطيع أن يناله وإن لم تكن نهاية أمانيه المنجحة . وراح يوهم نفسه أنه يتعفف وأنه يترفع عن الدنيا ، وأرضى ذلك غروره فأبعد سهره عنه وقال :
— لا ، لا بد أن نتزوج .. لا بد أن نتزوج .

٢

وقفت أمام المرأة تديم النظر إلى نفسها في إعجاب ، إنها بيضاء البشرة ، متناسبة التقاطيع ، ممشوقة القد ، ونظرت إلى صدرها الشاخي في كبرياء ، ثم مدت يدها تصلح « الستيان » لتمكن حلمة ثديها من البروز . وعادت تنفرس في وجهها ، وترنو إلى عينيها العسليتين ، وترفع طرف سبابتها وتممره على أهدابها الوطف ثم تلمس شعرها الذي عقصته بأطراف أناملها ، وتعيد بعض شعرات شاردة إلى أماكنها .
ومسحت بخصرها بعض الأحمر الزائد في شفاها الغلاظ المثلثة ، ثم مدت يدها وتناولت زجاجة العطر ، وفتحتها وراحت تمسح غطاءها البلورى تحت إبطيها . وارتفع صوت نسائي ينادى :

— سوسن .. سوسن ..

— نعم يا ماما ..

— السمك في المطبخ فاحت رائحته .

— قلت مائة مرة لا أنظف سمكا ولا أقلية .

— جاء يابتنى وقت الغداء .

— ينتظر حتى تأتى سهرير .

— ودارت على عقبها ، والتفت تنظر إلى ظهرها في المرآة ورفعت ثوبها عن ساقها فبدتا متناسقتين كأنهما ساقان بالغ في إبراز فنتهما مثال .
وتحرك غرورها فراحت ترمز لنفسها بعينها .

وتلفتت في الغرفة : كانت بسيطة غاية البساطة ، بها سريران وصوان قديم ، وتسريحة عتيقة ، ولا شيء غير هذا . واتجهت إلى سريرها وبسطت الثنيات التي كانت في المفرش ، ثم اتجهت إلى سرير سهرير وجذبت المفرش من أحد أطرافه فتهدل .

وارتسمت على شفيتها بسمه خبيثة ، وسارت تتبختر .

ثم خرجت إلى ردهة بها بعض مقاعد ، وكنبة « اسطنبولية » في الصدر جلست عليها أمها ، ونضد مرتفع عليه صينية بها ثلاث قلال غطيت بأغطية من الفضة . ونظرت أمها إليها فلما وجدتها قد تزينت ، مصمصت بشفتيها ولم تنبس بكلمة .

وغاصت سوسن في مقعد ، وتناولت مجلة وعكفت على تصفحها وقد وضعت ساقا على ساق ومالت على جنبها وارتفع عجزها . وجعلت أمها ترمقها ، ثم غادرت كتبها « الاسطنبولية » واتجهت إلى المطبخ .
وتقضى بعض الوقت وسوسن تتمللمل في جلستها وهي تقرأ ، تميل على جانبها الأيمن مرة ، ولكنها سرعان ما تغير جلستها فتميل على جانبها الأيسر . ثم ترفع ساقا على الأخرى ، ثم تعود فتخفض الساق المرفوعة لترفع فوقها الثانية .

وفجأة أرخت يدها بالمجلة وراحت تتشمم وقد اقشعر وجهها ، فقد

نفذت إلى خياشيمها رائحة السمك . فنظرت إلى باب المطبخ ، ثم نهضت واتجهت إليه وأغلقتة على أمها ، وعادت لتغوص في مقعدها وتستأنف قراءتها .

ورن جرس الباب وسوسن لا تتحرك ، واستمر رنينه وقد أصمت أذنيها عنه . وتردد الرنين المتواصل في جنبات الشقة ، ففتحت الأم باب المطبخ وقالت :

— يا بنتى افتحى الباب ، الجرس أقلق الجيران .

— إنها سهير . قلت لها ألف مرة تدق الجرس مرة واحدة .

— افتحى الله يهديك ..

وقامت وهى متبرمة ، وذهبت إلى الباب فى خطوات وثيدة ورنين الجرس مستمر ، وفتحت الباب دون اكتراث ، ثم عادت إلى مقعدها وهى تتبختر ولم تكلف نفسها مشقة التطلع إلى القادم ، واضطجعت ووضع ساقا على أخرى .

ودخلت سهير وفى يدها كيس من الورق ، يعلن أنها اشترت شيئا جديدا . ووقعت عينا سوسن على الكيس ، فاعتدلت فى مقعدها ، ورنت إلى ما فى يد سهير رنوة طويلة ، ثم قالت :

— ماذا اشتريت ..؟

فقالت سهير وهى تسير فى طريقها إلى غرفتها :

— لا شيء .

فنهضت سوسن واعترضت طريقها وقالت :

— وما هذا الذى فى يدك ؟

فقالت سهير فى عناد :

— هذا شيء يختص بي .

وأخفته سهير خلف ظهرها لتبعده عنها ، فقالت سوسن في تهديد :

— أريني .

— لا .

فتقدمت سوسن خطوة وقالت :

— أريني .

— لا .

فتقدمت سوسن خطوة ثانية وقالت :

— أريني .

وتأهبت سهير لتصد هجومها ، وقالت وهي تضغط بيدها على

الكيس :

— لا .

فرفت على شفتي سوسن ابتسامة هازئة وقالت :

— لا ينفع الذوق معك .

وهجمت على سهير وقبضت على يدها وراحت تلويها ، ولكن سهير

دفعتها بعيدا عنها . فعادت سوسن وقد ازدادت ضراوة ودفعت سهير في

المقعد ، وجثمت عليها ، وجعلت تحاول جاهدة أن تفك قبضتها عن

الكيس بيديها . واستأثت سهير وهي تقاوم أختها ، ولكن سوسن جذبت

الكيس جذبة قوية فصار في يدها ، بينما ظلت سهير متشبثة بقطعة من

الورق .

وابتعدت سوسن وقد التمت عيناها ببريق الفوز ، وراحت تخرج

مافي الكيس . ونهضت سهير وهجمت على سوسن ، ولكن سوسن

مدت ذراعها لتمنحها من الوصول إليها بينما رفعت يدها الأخرى الحقيبية
الأنيقة التي كانت في الكيس ، ونظرت إليها في اشتهاء وقالت :
— رائعة .. سأخذها .

فقالت سهير وهي تحاول أن تستخلصها من يدها :
— لا .. لا .. لن أتركها لك أبدا .

— سأدفع لك ثمنها .

فهجمت سهير لتتنزعها من يدها وهي تقول :
— لن أتركها لك أبدا .

وتشابكت الأختان ، وتقهقرت سوسن حتى وصلت إلى النافذة ،
فمدت منها يدها القابضة على الحقيبية وقالت :

— لو تحركت أية حركة فسألقي بها في الطريق ، ولن أدفع ثمنها .

فصرخت سهير وراحت تنادى :

— ياماما .. ياماما .

وأقبلت الأم ملهوفة في يديها آثار السمك ، وقالت في فزع :

— ماذا جرى ؟ ماذا جرى ؟

وتحدثت سوسن وسهير معا :

— كلما أشتري شيئا تغتصبه منى .

— الحقيبية أعجبتني وقلت لها سأدفع ثمنها .

فقالت الأم في يأس :

— يقطعني .. يقطعني .

قالت سهير :

— الحقيبية حقيبتى .. وأنا التي اشتريتها .

وقالت سوسن في هدوء :

— سأدفع لك ثمنها .

فقالت الأم في ضعف :

— انتهى ياسهير .

فقالت سهير في ثورة :

— الجيبون أخذته ، التاير أخذته ، الحقيبة أخذتها . ما من شيء اشتريته إلا أخذته . إنها ليست في حاجة إلى ما تأخذ . إن عندها حقيبة جديدة ، ولكنها تريد أن تحرمنى حقيبتى . الحقيقة أنها لا تحب أن ترى عندى شيئا جديدا .

فقالت سوسن في بساطة :

— إننى أدفع ثمن ما آخذه .

فقالت سهير في غضب :

— أنانية .. عرسة .

وصمت قليلا ثم قالت :

— العرسة تدخل عشة الدجاج ولا تترك دجاجة دون أن تخنقها . إنها لا تأكل الدجاج ولا تشرب دمه ولكنها خلقت للأذية ، وأنت مثلها خلقت للأذية .

فقالت الأم في أسى :

— كفى ياسهير .

فقالت سهير في حنق :

— دائما تقفون في صفها ، دائما تنصرونها علىّ ، إنها ابنتكم أما أنا

فبنت الجارية .

وأحست الأم يدا قوية تمصر قلبها . كانت سهير تقول حقا . إنها تستشعر في أعماقها أسي ، فهي تقف على الدوام في صف سوسن وإن كانت مخطئة ، وهي غالبا مخطئة ، لتدارى رعونتها . ودنت الأم من سهير وقالت في صوت خافت :

— أنت عاقلة ياسهير .

وضمت سوسن الحقيبة إلى صدرها ، وابتسمت ابتسامة هازئة ، ودارت حول نفسها دورة كأنما ترقص .

وأحنق سهير هزيمتها فانطلقت إلى غرفتها غاضبة ، ووقفت أمام سريرها تنظر . رأت المفروش المتهدل فتطلعت إلى حيث تقف سوسن في حنق ، ثم ذهبت إلى الباب وأغلقتة في وجهها .

٣

كاد الليل أن ينتصف والأم حائرة لا تغمض لها عين . يلفها اضطراب وقلق بعد أن جاءتها خادم عجوز وأسرت إليها أن شابا يتقدم لخطبة سهير ، ووضعت في يدها بطاقته .

لو أن ذلك الشاب الذى تحدثت عنه الخادم جاء يخطب سوسن لامتلات غبطة ، ولأعلنت سعادتها . أما أن يتشبث بسهير فهذا ما يثير مخاوفها ويجعلها تعيش في رهبة : إنها تحب ابنتها ، وغاية أمانها أن يسعدا في الحياة . ولكن زواج سهير قبل سوسن سيخرج كبرياء سوسن ويملؤها حنقا وغيرة ، ويؤجج في جوفها نار الكراهية لأختها .

وتسللت الأم إلى غرفة ابنتها النائمتين ، واقتربت من سوسن ورنّت

إليها في عطف وحنان ، ثم مدت يدها وراحت تمررها على شعرها .
وتحرك أساها فارتسمت الشفقة في وجهها . كانت سوسن في تلك اللحظة
أقرب إلى قلبها من سهير ، فإنها تستشعر في قراراتها أن خطرا يحوم حولها .
ونظرت إلى سهير شاردة ، وأحست همسا يهمس في أغوارها أنها تجور
عليها . جاء شاب يطلبها ، فلماذا تتمنى من كل قلبها لو أنه تقدم يطلب
سوسن ؟ ماذا تفعل سهير لو عرفت حقيقة مشاعرها ، وماذا هي قائلة لو
عرفت أنهم رفضوا شابا جاء يطلبها لأنه لم يتقدم إلى سوسن ، أو لأن
سوسن لم يتقدم إليها أحد .

« إنها لن تغفر لي ، ستصيح في وجهي قائلة إننا نقف دائما في صف
سوسن وننصرها عليها . ليت سهير تعرف حقيقة ما يمكنه لها قلبي : إنني
أحبها كما أحب سوسن ، وإذا كنت أميل إلى سوسن أحيانا فلأنها تحتاج إلى
رعاية أكثر . كانت البكرية فأفسدناها بتدليلنا » .

وغادرت الغرفة وهي نهب لأفكارها ، وذهبت إلى الكنية وجلست
وفي صدرها معركة من العواصف المتضاربة ، وراح الهامس يهمس :
« أفسدناها بتدليلنا » ؟

« لم يدللها أحد غيري . إن جلال كان مشغولا عنا بسهراته
ومغامراته ، تركني وليس معي أحد غيرها ، كانت كل حياتي فمفتحها
حبي .

وتزوج جلال امرأة غيري وراح يمضي أغلب لياليه مع زوجته الثانية ،
فكانت سوسن المنفس لعواطف الرقيقة والملتبية معا ، كان ينخلع قلبي إذا
بكت وتنعم الدنيا بالسعادة إذا أشرق وجهها بالابتسام : إنها ابنة
عمري .. إنها شبابي .. وذوب فؤادي .. » .



وسمعت حركة في الشارع فأسرعت خافقة القلب تنظر ، وأطلت من الشباك ثم عادت يائسة : لم يقبل بعد . وعادت إلى جلستها وراح الهامس يهمس : وسهير ؟ كنت أتمنى أن تحبى ولدا ولكنها جاءت بنتا .. لم أحزن وقلت ستكون أختا لسوسن تفتح كل منهما قلبها للأخرى .. وقد أحبيتها وكان حبي لها يربو على الأيام .

ومس أذنيها وقع حوافر خيل على الطريق ، فهرعت إلى الشباك ونظرت فرأت جلالاتا يهبط من عربة يجرها جوادان ويمد يده في جيبه ويخرج كل ماتصل إليها من أوراق مالية ويضعها في كف الخوذى المسبوطة ، ثم يسير وهو يترنح .

كان جلال قصير القامة ، منتفخ الكرش ، على رأسه طربوش وفي يده منشفة من العاج والشعر الأبيض ، يعتنى بهندامه ، وفي عروة جاكته وردة حمراء . غاب في باب البيت ، وصعد الدرج يدندن : ياسمر .. ياسمر .. ياسكر .. ياسكر ، ويرم شاربه ولعب حاجبه ، ثم مد يده في جيبه يخرج المفتاح .

وهم بوضع المفتاح في الباب ، وإذا بالباب ينفتح ، فيرتد إلى الخلف خطوة ويغمغم :

— بسم الله الرحمن الرحيم .

ورأى زوجه واقفة في النور ، فهدأت نفسه وقال :

— أهو أنت .. مساء النور .

ودخل يترنح تفوح منه رائحة الخمر ، وقال :

— لماذا أنت مستيقظة حتى الساعة ؟

وابتسم ورفع حاجبه وعبث بشاربه فقد حسب أنه حزر سبب
انتظارها ، وقال :

— آه .. نامت سوسن وسهبر ..

ثم قال بصوت خافت وهو يلف ذراعه حولها ، ويقرب فمه منها :

— تعالى .. هاتي ..

وقبل أن يقبلها دفعته في رفق وقالت :

— أفق .. أريد أن أحدثك في أمر هام .

واتجه إلى غرفته وراح يخلع ثيابه ويلقى بها هنا وهناك وهي تلتقط
ما يلقي وتضع كل شيء في مكانه ، ثم ارتدى بيجامة من الحرير المخطط ،
وجلس على حافة السرير وقال وهو فاتح ذراعيه كأنما يتأهب لاستقبال
طفلة تحبو :

— حبا .. حبا .. تاتا .. تاتا ..

قالت الزوجة وهي برمة به :

— أفق يا رجل .. أريد أن أتحدث معك في أمر هام .

فقال وهو يبتسم :

— قلت لي أهم نبأ : نامت سوسن وسهبر .

ومال ووضع رأسه على الوسادة وقال :

— تعالى ..

ثم راح في سبات وهي تنظر إليه محسورة .

واتجهت إلى سريرها وارتمت فيه وأغمضت عينيها ، ولكن لم يعرف
النوم سبيله إليها . كانت أفكارها ترهقها ، ويزيد في ضيقها غطيظ الزوج
السكران .

وأصبح الصباح وقام جلال وهو يحس صداعا ، وفتح عينيه فرأى زوجته أمامه كطيف فقال :

— فنجان قهوة سادة .

— سأعده لك بعد الإفطار .

— أريده الآن .

وخرجت الزوجة وقام يتمطى في حركات أقرب إلى الرقص ، حتى إن كرشه كانت تهتز وتتحرك من أعلى إلى أسفل حركة الموج .

وجاءت زوجته وقالت له :

— نمت جيدا ؟

— أطار شخيرك النوم من عيني ، ضعى رأسك على الوسادة جيدا .

وقدمت إليه البطاقة وقالت :

— يريد أن يتزوج من سهير .

ونظر إلى البطاقة في اهتمام وقرأ : فؤاد سالم ، ثم التفت إلى زوجته

وقال :

— ماذا تعرفين عنه ؟

فقالت في انفعال :

— قالت الخادم التي أتت بالبطاقة إنه في الخامسة والعشرين من عمره ،

موظف في الحكومة ، مرتبه ثلاثون جنيا ، ليس له أقارب هنا ، كل أهله

في الأرياف . وقالت إنه طيب وابن حلال .

فقال وهو شارد :

— لو كان هذا صحيحا فلا مانع عندي .

فقالت الأم في دهش :

— وسوسن ؟

— مالها ؟

— كيف توافق على زواج سهير قبل أن تتزوج سوسن ؟

وأطرق الرجل قليلا ثم قال :

— وماذا نستطيع أن نفعل ؟

— نعرض عليه سوسن ونقول له : إن سوسن أخت سهير .

— وإذا أصر على أن يتزوج سهير نرفضه !؟

وخفق قلب الأم في شدة ، ولاح في وجهها القلق ، وظلت صامتة ،

فدنا جلال منها وقال :

— لا أستطيع أن أرفض شابا جاء يطلب يد ابنتي ، لا عيب فيه إلا أنه

طلب الصغرى ولم يطلب الكبرى . ستتزوج سوسن ويأتيها ابن الحلال كما

جاء ابن الحلال لسهير .

وترقرقت الدموع في عيني الأم وغمغمت :

— كبدى يا بنتى .

فقال ليقنعها :

— إذا رفضناه لا نلنا عنب الشام ولا بلح اليمن .

وخرجت الأم من الغرفة وهي مشتتة العواطف لا تدرى أتبهج أم

تحزن ، أتضحك أم تبكي ، واختلطت عليها مشاعرها فانهمرت الدموع

من مقلتها ، وجعلت تجففها وهي تحس راحة .

وعادت تحمل صينية القهوة ووضعها على نضد في الغرفة ، وقالت

وهي تصب القهوة :

— الشاب يريد أن يقابلك .

فقال وهو يتناول الفنجان :

— يقابلنى فى القهوة يوم الخميس .

— ولماذا لا تقابله هنا ؟

— لأحب أن أأخذع الناس . يجب أن يعرف من الآن أننى مدمن ..

مدمن قهاوى .

— ولماذا لا تقابله غدا أو بعد غد ؟

— أريد أن أسأل عنه قبل أن أقابله .

وصمتت الأم قليلا ثم قالت فى لهجة حاملة مشوبة بالياس :

— لو لم تضع البيتىن على مزاجك لكنا نفعا الآن .

فقال وهو يتهد :

— آه لو يعود البيتان .

فقالت فى شماتة :

— ندمت بعد فوات الأوان .

فقال زريقه يتحلب :

— من قال لك إننى نادم ، إننى أتمنى عودتهما لأضييعهما مرة ثانية على

مزاجى .

وصمتت وشردت . وصب جلال القهوة مرة أخرى فى الفنجان ،

وانتهبت الأم فجأة وقالت :

— بالله لا تنس أن تعرض عليه سوسن .

فقال جلال فى ضيق :

— والله العظيم سأقول له إن سوسن أخت سهير ، وإنها جميلة أجمل من

سهير ، وإنها ابنتنا البكر ، وإننا نتمنى أن تتزوج أولا .

ولم تأبه الأم بضيقه ، واتجهت إلى القبلة ورفعت أكف الضراعة إلى السماء ، وقالت في حرارة ودموعها تجرى على خديها :
— يارب اجعله من نصيب سوسن .. من نصيب سوسن يارب .

٤

راح فؤاد يدخن ويتلفت في قلق ، وأخذ صديقه عمر يقرأ في جريدة والتاكسي منطلق إلى المقهى ، فقد كان اليوم يوم الخميس .
وكان فؤاد يستشعر رهبة على الرغم من وجود صديقه إلى جانبه ،
ورأى أن يتكلم ليقر من هواجسه فقال :
— لست أدري ماذا أفعل لو رفض أبوها !
فقال له عمر في هدوء :
— أظن لن يرفضك .
وعاد عمر إلى الصحيفة يلتمهم ما فيها ، وقال فؤاد وهو حالم :
— قلبي يُحدثني أنني مقبل على السعادة .
ولم يرفع عمر عينيه عن الصحيفة ولم ينس بكلمة ، فقال فؤاد :
— ما هذا النبأ الذى استولى عليك وشغلك عنى ؟
فقال عمر وقد نحى الصحيفة ووضعها على ركبتيه :
— جريمة ، شاب قتل عشيقته .
فقال فؤاد فى امتعاض :
— ما أبشع أن تزهق نفس ، من يقتل ليس بإنسان .
فقال عمر وهو يعمل فكره :

— يعيش القاتل قبل أن يرتكب جريمته في مستنقع من البغض يعب في مائه الآسن ، ويستنشق هواءه الفاسد ، ولا يرى إلا من خلال ضبابه الكريه ، ويتبدل في لحظة فتمذه نفسه المتقيحة بالصديد ، فيسرى في كيانه مسرى الدم .

فقال فؤاد ليسترسل في الحديث حتى يعود إليه هدموؤه ، وينقشع ذلك الانفعال المنبثق في أعماقه :

— القاتل مجنون .

— قد يكون من أعدل الناس . إنها لحظة لا شعورية تلك التي تنفصم فيها شخصيته عن ذاته ويقدم فيها على ارتكاب جريمته . فقد تجد نفسك مرة في ظروف تدفعك إلى القتل .

فقال فؤاد في فرع :

— أعوذ بالله !

وابتسم عمر وقال :

— ما أكثر العقلاء الذين رأيتهم في قفص الاتهام متهمين بالقتل .

— وأين رأيتم ؟

فقال عمر في انكار :

— ألا تعلم أنني من هواة حضور جلسات محكمة الجنايات ؟

— لا ، ولكنني أعلم أنك من قراء الروايات البوليسية ومشاهدي

أفلام الجريمة والقتل .

فشرد عمر قليلا وقال :

— أليس عجبا أن نجد في مصائب الناس لذة ؟

ووقفت السيارة أمام المقهى فعاد إلى فؤاد اضطرابه ، وهبط وهو زائغ البصر ونظر في العداد ودفع إلى السائق جنيتها ووقف ينتظر الباقي ، ولاحظ عمر قلقة فدنا منه وقال :

— إننى لم أفعل مثل انفعالك هذا ليلة زفانى .

فقال فؤاد وهو يحاول أن يبتسم :

— لأنك كنت واثقا من أنك ستتزوج ، أما أنا فلا أدري أفبل أم

أرفض .

ومد عمر بصره وراح يتفرس في القهوة وقال :

— هل تعرفه ؟

— إننى لم أقبله ، ولكننى جئت أمس إلى القهوة وسألت الجرسون

عنه فدلنى عليه من بعيد .

وتقدم الشابان إلى حيث كان جلال ، كان فؤاد شامخا بقامته الطويلة

وقد تألق في ملبسه وبالغ في زينته ، بينما سار عمر إلى جواره بقامته

المتوسطة وثيابه البسيطة النظيفة ونظراته المتحررة .

ووقف الشابان عند رأس جلال . كان منهمكا في لعب الطاولة مع

صديق وأحس وقوفهما ولكنه استمر في لعبه ، وبعد أن نقل حجرا التفت

إليهما ونهض مرحبا :

— أهلا وسهلا .

ومد فؤاد يده وصافحه وهو يقول :

— فؤاد سالم .

ثم التفت إلى عمر وقال :

— صديقى عمر .

— تشرفنا .

ومد جلال يده وجذب كرسيين وضعهما عن يمينه ويساره ، وقال :

— تفضلا .

وجلس الشابان . وصفق جلال فأسرع إليه الجرسون فقال له :

— اثنين ليمون .

والتفت إلى الشابين وقال :

— آسف ، لا يوجد هنا ما يشرب إلا القهوة والليمون والشاي

والينسون وما أشبه .

وضحك جلال وفهمها عمر فابتسم ، أما فؤاد فقد راح يغمغم :

— شيء عظيم .. شيء عظيم .

وعاد جلال وانهمك في اللعب ، واشتدت حماسه فراح يسخر من

مناقسه ويقول :

— يا غشيم ! أهذه لعبة !؟

وألقي بالترد وصاح وهو ينزل بالحجر الذي في يده :

— ضرب وغطى وخذ خانة .

والتفت إلى فؤاد متلهل الأَسارير وقال :

— مسعد .

وخفق قلب فؤاد وراح يتابع اللعب في اهتمام ، وأحس بغريزته أن

مستقبله قد يكون معلقا بهذه الأحجار ، فلو كسب جلال فسيقبل عليه

منشرح الصدر ، أما إذا خسر فمن يدرى ماذا يصدر عن نفس مهزومة .

وجاء الجرسون بالليمون ، وراح فؤاد يرشفه وعيناه معلقتان

بالطاولة ، ولم يرتح إلا لما قهقهه جلال وأغلق الطاولة وقال :

— راحت العشرة يا غشيم .. راحت صائمة .

ونظر إلى فؤاد مشرق الوجه وقال :

— من المقبولين إن شاء الله .

فاشتمد وجيب قلب فؤاد وابتسم عمر ، والتفت جلال إلى صديقه

وقال :

— عن إذنك .

وانسحب بعيدا هو وفؤاد وعمر ، وجلسوا صامتين برهة إلى أن قال

عمر :

— جئنا يا عمى نسمع رأيك فيما عرضه فؤاد .. فؤاد شاب طيب

وابن حلال .

فاعتدل جلال وبرزت كرشه ، ثم قال وهو يلتفت إلى فؤاد :

— والله يا بني ما سألت عنك أحدا إلا أثني عليك ، وإنه يسرني أن

أعطيك ابنتي ، ولكنني كأب أحب أن تتزوج الكبرى أولا . سوسن

أخت سهير ولا تكبرها إلا بسنتين ، بل سنة وعشرة شهور على التحديد ،

وهي أنضج وأجمل .. ماذا لو جئت معي لتراها ؟

فقال فؤاد وهو يتلعثم :

— ولكنني يا عمى ..

ولاحظ عمر تغيرا في وجه فؤاد وأنه مقهور ، فقال على الفور وهو

يبتسم :

— يدخل الإنسان يا عمى مطعما ، ويجد أصنافا كثيرة ، ولكنه

لا يطلب إلا الصنف الذي يشتهي .

فقال جلال وهو يضحك :

— والله يا بنى إننى أشتى كل الأصناف ، وآكل أى صنف يقدم إلى .
فقال عمر متملقا :

— هذه قوة استعداد ، ولكن فؤاد إذا أحب صنفا يستطيع أن يصبر
على طعام واحد . . .

وقال جلال وهو يصوب نظراته إلى فؤاد :

— هيه .. مارأيك ؟

— رأيى يا عمى أننى أريد سهر .

وأطرق جلال هنيهة وعبث فى شاربه ورمق الوردة الحمراء التى يزين
بها عروة جاكته وهو شارد ، ومشى القلق فى صدر فؤاد ولفه اضطراب
وخيل إليه أن إطراقة الرجل قد طالت ، وتمنى أن يتحدث عمر ليخرجهم
من هذا الصمت وراح يتطلع إليه يستنجده ، ولكن عمر لم ينبس بكلمة .

ورفع الرجل رأسه ثم قال :

— أمرى لله .

ومد يده إلى فؤاد وقال له وهو يصافحه :

— مبارك .

فقال فؤاد وهو يكاد يقفز من الفرح :

— بارك الله فيك .

وصمت فؤاد ليسعد بالمشاعر السعيدة التى راحت تمرور فى أعماقه ،
وقال عمر :

— يريد فؤاد أن يقدم شبكة وأن يدفع المهر ويؤجل العقد إلى ليلة
الزفاف .

فقال الرجل فى بساطة :

— كما يريد .

وظلوا يتسامرون مدة ، ثم قام فؤاد مستأذنا وصافح الرجل وهو يشد على يده في حرارة ، وسار عمر إلى جواره ، كان قلبه يرقص طربا ، فمد ذراعه إلى كتف عمر ، وضغط عليه ضغطة أودعها شحنة من المشاعر الطيبة اهتز لها قلب عمر وانشرح .

واستأذن جلال من صديقه وانطلق إلى البيت . كان مشغولا بأمر سوسن ومع ذلك كان يحس الطريق غريبا ، فإنه لا يذكر أنه عاد إلى داره في الليل أبدا ومصاييح الحوانيت والمقاهى تتلأأ ، والناس في غدو ورواح كأنهم في مولد . وصعد في الدرج متمهلا ، إنه لا يدري ماذا يقول لسوسن ، وإنه ليحس الساعة أن أمر الإفضاء إليها بنأ خطبة سهر ثقيل بغيض . كان يحسب الأمر هينا قبل أن يواجهه ، أما الآن فهو يقاسى من وطأته ، ويستشعر أن قلبه ينصر انهصارا .

بنى فلسفته في الحياة على أن النساء متاع ما خلقن إلا للتسرية وعبث الرجال . وكان يقسم أنهن بلا قلب ولا عقل ، فما باله يشفق على سوسن ويخشى خدش شعورها ؟

ودق جرس الباب ، ولأول مرة في حياته يرتجف لرنينه ويحس له ترجيعا له معنى في نفسه ، كان نذيرا بهبوب العاصفة .

ووطن نفسه على أن يتحمل سوسن إذا ثارت وأن يكفكف دموعها إذا بكّت ، وأن يمسح جراح نفسها بخنانه ، وأن يخفض لها جناح الذل من الرحمة .

وفتحت سهرير الباب ، ولما رأت أباها ارتسم في وجهها دهش فما كان يعود في مثل هذه الساعة ، وقالت في صوت خافت :

— أتخس شيئاً ؟

فقال وهو يغتضب ابتسامته :

— أنا بخير .

ونظرت إليه زوجته وهي جالسة على الكنبه فخفق قلبها في شدة . إنها تعلم أنه عاد بنبأ فؤاد ، ولكن ترى هل وافق على أن يتزوج سوسن ؟ وعادت تبتهل إلى الله في أعماقها أن يحقق ما تمنى .

وتلفت الأب وقال :

— وأين سوسن .

فقالت سهير :

— في غرفتها .

فانطلق إليها منفعلا والأم تزقبه مرهفة الحواس ، متضاربة المشاعر ، متوترة الأعصاب ، تلتفت في قلق .

وحزرت سهير أن هناك شيئاً ، ولكنها لظمت الصمت ولم تحرك ساكناً .

ورأت سوسن أباهما قادمًا في المرأة فاستدارت تواجهه ، ووقف الأب

برهة لا يتكلم ، ثم تقدم وضم سوسن إليه في حنان وقال :

— إننى أعرف أنك عاقلة ، وهذا مادفعنى إلى أن أفضى إليك بالنبأ

بنفسى . تعلمين أن الدنيا قسمة ، وأننا لاندري ماذا يجيء به الغد .

وفحصته بنظرات حائرة ، وفطنت إلى أنه يريد أن يفضى إليها بنبأ

يسيئها ، فأصاحت سمعها وتحفزت . وقال في صوت مضطرب :

— جاء إلى اليوم شاب يطلب سهير ، فقلت له إنك أجمل منها ، ولكنه أصر

على سهير فلم أستطع أن أرفضه .. أنا واثق أن الله سيرزقك خيرا منه .

وصمت وهو يرمق سوسن مضطرباً . لم تبك ، ولم ترتجف ، ولم يكفهر وجهها ، بل قالت في صوت خافت :
— الله يهنيها به . . .

أحس كلماتها تمزق قلبه ، وتحركت الدموع في عينيه المتحجرتين فملاً الأسي أقطار نفسه ، وضغط على كتف سوسن وقال وهو يغتصب ابتسامة :

— كنت واثقا من أنك عاقلة .

وسار بها إلى حيث تجلس الأم وسهير ، وتطلعت الأم إلى وجه سوسن فعرفت كل شيء ، فغاص قلبها ، وجف حلقها ، وترقرق الدمع في عينيها .

وقال الأب لسهير :

— جاءني اليوم فؤاد .

ودق قلب سهير في عنف واتكأت على يدها حتى لا تنهار ، ونظرت إليه فاعرة الفم وقالت في صوت خافت كله توسل :

— وماذا قلت له ؟

فقال الأب وهو مطرق ، يضغط على سوسن ويضمها إليه :

— مبارك .

وأجهشت الأم بالبكاء ، ووقف الأب موزع العواطف ، وترددت أهازيح الفرخ بين جنبيات سهير ، ونظرت سوسن إليها نظرة خاطفة فأحست كأنها قدى في عينيها .

كانت ليلة الشبكة فراحت سهير تترين والغبطة تملأ نفسها ، كانت سعيدة ، وزاد في سعادتها تقوض تلك الخشية التي كانت مستولية عليه ، والتي كانت ترهقها بفكرة عدم موافقة والديها على تزويجها قبل أن تتزوج سوسن .

وراحت تغدو وتروح في الشقة ، تتطلع إلى المرأة وتنطلق إلى « البوفيه » المتواضع الذي أعد لفؤاد ووالديها ومن يقبلون مع فؤاد ، فقد قررت والديها عدم دعوة أحد من أقاربهم حتى لا تزيد في جرح سوسن . لم تغادر سهير البيت ، بينما انطلقت سوسن إلى الحلاق تكوى شعرها وعادت تتألق ، وذهبت إلى البوفيه تعيد تنسيقه وهي مرحة ، وراقبتها أمها وهي قلقة ، أتصدق مظهرها المرح ؟ أحقا انشرح صدر سوسن ، ابتهج قلبها لسرور أختها ؟ كانت الأم تشتبه أن يكون ذلك حقا ، ولكن قلبها ما كان يصدق المظهر الخداع .

وذهبت الأم إلى حيث يرقد زوجها وقالت له وهي تهزه :

— قم يارجل ، حان ميعاد حضور فؤاد .

فقام يتمطى وهي يبتسم . وارتسمت في وجهه سعادة وقال :

— كنت أحلم أنني شاب وأننى أتزوج .

ومد يده إليها يحاول أن يجذبها إليه وهو يقول :

— حقا الشباب يعدى كالإنفلوانزا .

وقالت له وهي تبتعد عنه :

— اعقل يارجل ، بعد سنة ستصبح جدا .
وفتحت الصوان وأخرجت له قميصاً أبيض وبذلة كحلية ، ثم ذهبت
تلقي النظر مرة أخيرة على تنسيق الشقة . كانت هناك باقة من الورد من
عمر وحرمه ولا شيء غيرها يدل على أن الليلة لها أهمية خاصة .
ودق جرس الباب فهرعت سهير إليه ، ولكن أمها أشارت إليها أن
تعود وأن تختفي في غرفتها ، ففعلت سهير وذهبت الأم تفتح الباب .
وارتفع ترحيب الأم بالقادمين ، وسارت أمامهم حتى غرفة
الاستقبال . كانت قد رأت فؤاد لما زارهم في الأسبوع الفائت ، ولكنهما لم
تكن رأت الشاب والشابة اللذين جاءا معه ، وقال فؤاد وهو منشراح :
— حماتي .. صديقي عمر وحرمه أحلام هاتم .

— أهلا .. تشرفنا .

وجلسوا ، ولكن سرعان ما نهضت الأم مستأذنة وذهبت إلى زوجها
تستحثه على الإسراع ، كان قد ارتدى القميص والبنطلون وراح يحرك
كرشه من أعلى إلى أسفل حركة موجية ، فقالت له تنهره في صوت
خافت :

— الناس جاعوا ، ولا أحد معهم .

فقال وهو يتناول الجاكتة :

— اذهبي أنت وأنا قادم خلفك .

وانطلقت الأم وذهبت إلى غرفة الاستقبال ، فألفت سوسن تحدث
الضيوف وترحب بهم مشرقة الوجه كزهرة تلتفت قطرات الندى ،
فانشرت وهنس في أغوارها هامس سعيد : عقلت سوسن .

وجاء الأب متأقفا في ثيابه ، في عروة الجاكتة وردة حمراء ، وفي وجهه
بسمة عريضة ، وقال :

— مرحبا .. يا مرحبا .

وصافح فؤاد وعمر في حرارة ، ومد يده إلى الشابة وهو يرمقها في
إعجاب .

فقال عمر :

— زوجتي أحلام .

— أهلا .. أهلا .

والتفت إلى عمر وقال :

— المطعم الذي اخترت منه هذا الصنف ممتاز .

وفهمها عمر وفؤاد فضحكا ، وضحكت الأم وسوسن وأحلام دون
أن يفهمن شيئا وإن حزنن أن ذلك إطراء لجمال أحلام .

وتركت الأم الغرفة ، وانسابت إلى غرفة ابنتها تدعوها للظهور .
وسارت سهير ثابتة الخطو ، فقالت لها أمها هامسة :

— تمهلي وأرخي عينيك .

وابتسمت سهير ولم تتمهل ولم تسبل عينها ، وما إن وقفت على باب
الغرفة حتى نهض الجميع ، ونهضت سوسن ، وراح عمر يفسح لها مكانا
إلى جوار فؤاد .

وجلسوا جميعا ، وساد الصمت برهبة ، وأراد عمر أن يتحدث ، أن
يقول أى شيء ليكسر ذلك السكوت . فقال وهو يبتسم :

— أظن يا عمى أنك لم تر خطيبتك إلا ليلة الدخلة .

فقال جلال وهو يضحك :

— كنت أراها في الأوقات الخمسة، في الصباح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، وكنت مواظبا على تأدية الفروض في أوقاتها، لا أؤخر نظرة الظهر إلى العصر أبدا، كنت أراها من سطح دارنا فقد كانت بنت الجيران .

وضحك الجميع، إلا الأم فقد نظرت إليه نظرة عتاب .
وأشار عمر لفؤاد برأسه، فمد يده في جيبه وأخرج علبة من المخمل في لون العقيق، وأخرج منها سوارا راح يلفه حول معصم سهير، وسوسن تنظر بعيون مفتوحة وقلب ينز أسي .

ومال فؤاد وطبع على خد سهير قبلة هادئة، فقالت أحلام في مرح :
— يستاهلها، دفع ثمنها .

وقال جلال :

— حقا لكل شيء ثمنه حتى قبلة الزواج .

وقال عمر :

— من يأخذ لا بد أن يعطى .

وقال جلال دون تحفظ :

— ألد الأخذ ما سلب .

وأشارت الأم برأسها لسوسن فنهضت . كان هذه الحفلة المتواضعة مخرجان : الأم وعمر . وسارت سوسن وهي تعتمد أن تبدو رشيقة في مشيتها، وخانت عمر عينه فراخت تتلصص خلفها وترنو إلى ساقها البديعتين وأردافها الممتلئة وخصرها النحيل .

وعادت سوسن تحمل صينية عليها أكواب الشراب الأحمر، وقدمت إلى فؤاد الصينية وهي تنظر إلى عينيه نظرة طويلة، ثم راحت تمر على الآخرين . وتمنت الأم في تلك اللحظة أن تنطلق في الشقة زغرودة .

(٣ م — المستفيع)

و غادرت سوسن الغرفة تحمل الأكواب الفارغة وهى شاردة ،
تستشعر أن الفكرة التى غرستها فى نفسها قد نبتت .

وقام الجميع إلى « البوفيه » : فؤاد وسهير يعيشان فى عالم سعيد من
خلق أنفسهما ، وعمر و جلال يقهقهان ، والأم وأحلام تنجاذبان
أطراف الحديث ، وسوسن لا يهتم بأمرها أحد ، فغضبت واستشعرت
هوانا ، وتضاءلت نفسها وراحت توسوس لها بأفكار سوداء .

وأخرج عمر علبه سجائر وقدم منها سيجارة إلى جلال ، فقال جلال
وهو يبتسم :

— والله لأحب التدخين . ولكن هات . يدخن المرء رغم أنفه .
وقدم عمر سيجارة لفؤاد وهو يقول :
— من لقى أحبابه نسي أصحابه .

وضحك الجميع لإسوسن . انقبض قلبها واران على وجهها ضباب
ثقيل ، واندلعت الهواجس فى أعماقها كألسنة أبالسة الجحيم .
وأحس جلال ظمأ ، كان يريد أن يعب الكاسات فما انقضت ليلة دون
أن يسكر ، وأراد أن ينفرد بالرجال فقال وهو يلتفت إلى عمر وفؤاد :
— أظن أنه من الواجب أن نترك لمن فرصة يتحدثن فيها فى حرية .
ووضع يده على ظهر عمر ، وسار الرجلان ولحق بهما فؤاد وهو
يلتفت إلى سهير وفى عينيه ابتسامة .

ودخل الرجال غرفة الاستقبال ، وقبل أن يستقروا على مقاعدهم
أخرج جلال زجاجة وسكى وثلاث كئوس ، وانطلق مسرعاً وعاد يحمل
إناء به ثلج .

وراح يصب الوسكى فى الكئوس ، فقال فؤاد :

— شكرا لك ! إننى لا أشرب .
فضحك جلال ضحكة مشوبة بسخرية وقال :
— إننى شربت يوم ظهرت نتيجة الابتدائية ، أقمت يومها أنا وبعض
الصحاب حفلة ابتهاج بهذا النجاح .
وقال عمر لما وجده يصب الويسكى فى كأسه صبا :
— كفى .. إنى أشربه مخففا بالماء .
فقال جلال وقد اتسعت عيناه :
— لماذا ؟

— أخشى من تليف الكبد .
— أننى لا ألتفت لنصائح الأطباء ولا أعبأ بهم ، طلب منى الطبيب مرة
أن أحلل دمي ولكنى لم أفعل ، لا لأننى كنت أخشى نتيجة التحليل ،
ولكن لأننى كنت أعرفها سلفا ، ٥٠٪ كونيأك .
وجلجلت الضحكات — ووصلت ضحكاتهم إلى مسامع النسوة
اللائى جلسن يتحدثن . قالت الأم :
— يخيل إلیّ أن الرجال لا يحملون هموما .
فقالت أحلام :

— الرجال أطفال ، من السهل إرضائهم ومن السهل قيادتهم .. بعض
الحنان يجعلهم أئين من العجيز .. إننى نجحت فى أن أحبب البيت إلى عمر
حتى إنه أصبح لا يغادره ، وإذا طلبت منه أن يذهب معى إلى الطبيب أو إلى
الخطاطة يعتذر وينتظر فى البيت حتى أعود ، صرت أخرج أكثر منه .
وضحكت أحلام وقالت لسهير :

— عليك أن تكليه بخيوط من حرير ، وألا يتعد عن عينيك ، ولكن
إياك أن يلحظ أنك تراقبينه .. دعيه يعتقد أنك تثقين فيه ثقة عمياء .

وقالت الأم وهي تنهد :
— حظيه على السطوح ، أن كان لك قسمة فيه ما يروح .
وقالت سهر في مرح :
— حظيته على السطوح ياماما حتى طار .
— هذه قسمة ، المكتوب على جيني وجيته وجينا . اللهم يكفيكم
شر المكتوب على الجين .
وضحكت أحلام ضحكة ساخرة ، ثم أقبلت على سهر تحدثها
وتزجي إليها النصائح ، ولم تلتفت إلى سوسن ولم تعرها انتباها ،
فتحركت عقارب الغيرة في صدر سوسن وانتشر في رأسها ضباب من
المقت ، ونبتت في أعماقها بذور الكراهية لأحلام ، حتى راودتها فكرة
أن تنقض عليها تخمشها بأظافرهما وتمزق شعرها .

٦

غابت الشمس وأضيئت الأنوار وبدأ الليل يتنفس ، ودبت الحياة في
خفافيش الإنس فراحوا يتأهبون للانطلاق إلى اللذة ، ليغرقوا فيها هموم
النهار وليفروا من أنفسهم القلقة المعذبة .
وارتدى جلال جاكته وتحرك يغادر الشقة ، فقالت له زوجته :
— أين تذهب يارجل وقد قال فؤاد إنه قادم الليلة ؟
فقال وهو سائر في طريقه :
— فؤاد ليس قادما لبراني ، وإنه يتمنى ألا يجدي هنا ولا أنت .
وفتح الباب وخرج وزوجته تنظر إليه ، ثم تهرز رأسها في يأس
واستسلام وتتجه إلى المطبخ تعد ما تقدمه لفؤاد .

وانقضى بعض الوقت دون أن يسمع فى الشقة نأمة ، كانت سهير تتزين فى صمت ، وكانت سوسن تتفنن فى إبراز فنتتها وقد ارتدت ثوبا يكشف صدرها وجزءا من ظهرها .

ونظرت سوسن إلى نفسها فى المرآة مليا فاستشعرت زهوا ، كانت أنوثتها طاغية . ولم تحفل بوجود أختها فى الغرفة معها فرمزت لنفسها بعينها . ودق جرس الباب الخارجى دقا خافتا فهرعت سوسن إليه . كانت حريصة على ألا يسبقها إليه أحد . وفتحته متعمدة أن تسده بجسمها حتى تلتقى عيناها بعينى القادم أطول فترة .

ووقعت عينا فؤاد عليها فألفى ابتسامة ساحرة تتوج شفتيها ، وقرأ فى عينيها ترحيبا ومودة ، فقال فى صوت مضطرب وهو يرمقها دون أن تطرف له عين :

— مساء الخير .

فقالت فى دلال :

— مساء الخير . أهلا وسهلا .

ومدت يدها دون أن تتحرك ، فصافحها وأخس أنها تضغط على يده ضغطة خفيفة اضطرب لها قلبه .

واستدارت وسارت أمامه وقد تعمدت أن تسبقه ليمأ عينيها بفنتتها ، وتعمدت أن تتلفت كالأفعى حتى تبرز مفاتن صدرها وظهرها . ولما وصلت إلى باب غرفة الاستقبال تمهلت حتى بلغها ودخلا معا من الباب فاحتك ذراعه بذراعها العارية البضة ، ورمته بنظرة كلها إغراء وفنتة ، ثم مدت ذراعها من أمامه ومالت عليه لتدير زر الكهرباء ، وأشارت إلى مقعد وقالت :

— تفضل .

وانسابت في رشفة إلى الشباك تفتحه ، وراح يتبعها بنظره في راحة .
ولما تم لها ما أرادت عادت من أمامه وتعثرت في قدمه ومالت نحوه ، فهب
يسندها ليمنعها من السقوط فقبض على ذراعها بحركة لا إرادية ، والتقت
العيون لحظة ، وقال في صوت خافت :

— آسف .

وقالت وهي تضحك :

— متشكرة ، كدت أسقط .

وغادرت الغرفة ، وجلس فؤاد شاردا وأخرج سيجارة وأشعلها
وراح ينفث دخانها حلقات وهو ساهم .

وأقبلت سهير ومدت له يدها فتناولاها بيديه وقال :

— مرحبا بغزالي .

وتلفت ليتأكد من أن أحدا ليس قادما ، ثم اجلس قبلة خاطفة وقال :

— صدق أبوك حين قال لنا : ألد الأخذ ما سلب .

فقالت له سهير وهي تضحك :

— لي رجاء .

— ماهو ؟

— ألا تتخذ أوى قدوة ؟

فابتسم وقال :

— وأنا لي رجاء .

— ماهو ؟

— أن تتخذى أمك قدوة .

وضحكا معا . ودخلت الأم وصافحت فؤاد وقالت :
— أشركاني في ضحككما .

فقالت سهير في مرح :

— كان يتغزل فيك .

وقال فؤاد وهو يرنو إلى سهير رنوة خاصة :

— وكانت تنزل في أبيها .

فقالت الأم وهي تنهد :

— انقضى زمننا . الخير والبركة فيكم .

وجاءت سوسن تحمل صينية عليها حلوى وصحاف صغيرة ،
ووضعت الصينية على النضد وتناولت صحيفة ووضعتها أمام فؤاد ،
وخفت سهير لتضع بعض الحلوى أمام خطيبها لكن سوسن كانت أسرع
منها .

وأخذوا في تناول الحلوى ، وقالت الأم :

— كنت سأرسل إليك في العصر لتعطينا بيجاما من بيجاماتك .

ولكنني خفت ألا تكون في البيت .

فقال فؤاد وهو يشرب بعض الماء :

— إنني لأغادر البيت قبل الساعة مساء .

وصممت الأم قليلا ثم قالت :

— أردنا أن نفصل لك بيجاما ، ولكننا خشينا أن تأتي قصيرة أو ضيقة

أو واسعة — فقررنا أن نطلب منك بيجاما .

وظنت الأم أنه لم يفهم فقالت :

— جرت العادة أن تهدي العروس إلى العريس بيجامة الدخلة ..

قالت سوسن وهي تضحك :
— وماذا أهديت لأبي ليلة الدخلة ؟
— جلاباب أبيض ساو كيبس .

فقالت سوسن في خبث :
— وماذا أيضا ؟

وضحكت ضحكة فضحت ما يدور في رأسها ، وفطن فؤاد وسهير
إلى ما ترمى إليه فضحكا وتبادلا نظرات ذات معنى . وأحسست الأم أنهم
يضحكون منها دون أن تفتن إلى ما يدورون حوله فقالت :
— الله يسامحكم .

ووضع فؤاد سيجارة في فمه ، وأخرج الولاة وقدحها وأشعل
السيجارة ، وقبل أن يعيد الولاة إلى جيبه خفت إليه سوسن وتناولت
الولاة منه وراحت تقلبها بين يديها ، ثم قالت :
— رائحة .

فقال فؤاد مجاملا :

— تفضلي .

فأخذتها سوسن وهي تقول :

— متشكرة .. هدية لطيفة .

وعادت وهي تقلب الولاة إلى مقعدها .

ورمتها أمها بنظرة زاجرة ولكنها لم تأبه لنظرتها ، ولاح في وجه الأم
الغضب وتحركت ثورتها وهمت أن تعنف سوسن ولكنها كبحت جماح
انفعالها . لم تشأ أن تجرحها بالزجر والتأنيب بعد أن أساء إليها قدرها .

ونظرت إليها سهير في دهش وهي تتساءل في نفسها ماذا تفعل سوسن بالولاعة ؟ وسرعان ما أنكرت ذلك التساؤل فهي تعرف سوسن جيدا . إنها تستولى على الشيء لأنها تريده ولا لأنها في حاجة إليه بل لتحرم صاحبه منه . إنها تستشعر لذة في حرمان الآخرين من أشياءهم . وتحرك غيظها ولكنها لم تستطع أن تنفس عنه ، فراح صوت مدو يتردد في جنباتها وهي ترقب سوسن : « عرسة .. عرسة .. عرسة » .

٧

كان فؤاد في غرفة نومه يعيد تنسيق بعض كتب على نضد في ركن الغرفة ، وكان في الغرفة سرير ، وكومدينو فوقه راديو صغير وفوق الراديو صورة له ولسهير معا ، وصوان له مرآة كبيرة ، ومكتب صغير ، ومقعدان « فوتيل » . وكان يستخدم هذه الغرفة لنومه ومطالعة واستقبال زواره ، وما أندرهم .

ونظر في ساعته فألقى أن ميعاد خروجه لم يأت بعد ، فمتد يده وتناول كتابا ، وغاص في أحد المقعدين وراح يقرأ .

وتناول سيجارة من العلبة الموضوعة على المكتب ، وأشعلها بعود ثقاب ، ونظر إلى العود لحظة قبل أن يلقي به ثم ابتسم ، فقد تذكر ولاعته ، وتذكر سوسن ، ورأى جلال بعين خياله وهو يقول ضاحكا : ألد الأخذ ما سلب .

ومس أذنيه طرق خفيف على الباب فاتسعت عيناه دهشة ، فما كان ينتظر أن يزوره أحد في هذه الساعة . ونهض وهو يصلح ببيجامته ، وسار

وفتح الباب فتحة ضيقة ونظر فرأى سوسن تبتسم ، فقال في ارتباك وهو يتنحى عن الطريق وينظر إلى ملبسه :
— معذرة .

فقالت في دلال :

— آسفة إن كنت قد أزعجتك .

— أبدا .. أبدا .. هذا شرف عظيم لى .. تفضلى .

وسارت إلى جواره .. وقادها وهو مضطرب إلى غرفة النوم فما كان عنده مكان آخر يستقبلها فيه ، وقالت وهى تنظر إليه :

— كنت مارة من هنا فقلت لنفسى هذه فرصة لآخذ مقاس البيجاما .

فقال فى اضطراب :

— أهلا وسهلا .

وأشار إلى المقعد القريب من المكتب وقال لها :

— تفضلى .

وراح يتلفت فى الغرفة وهو يقول :

— هذه غرفة رجل أعزب وحيد ، معذرة إذا كانت لا تليق

بإستقبالك .

فقالت وهى تدير عينها فى المكان :

— مدهشة .

ووقعت عينها على صورته مع سهير فارتسمت على شفيتها بسمة هازئة ، ولم يفتن فؤاد إليها لأنه كان مشغولا بما يقدمه لها فما كان عنده فى الشقة إلا قليل من السكر وليمونة أو ليمونتان .

وانسل إلى المطبخ ، وأخرج صينية صغيرة ووضع فوقها كويين من الزجاج وراح يذيب السكر في إناء في حركة سريعة ، ثم عصر الليمون وصب السائل في الكويين وعاد إلى حيث كانت سوسن وقد أحس بعض الراحة . وقال لها وهو يقدم الكوب :

— آسف ، لم أجد ثلجا .

وتناولت كوبا ، وتناول الكوب الآخر وجلس على المقعد القريب من السيرير . وساد الصمت برهة وإن كانت في العيون أحاديث . وقال فؤاد وهو يبتسم :

— لو جاء ثالث لاضطرت إلى استخدام الفضية .

ورمقته بعيون مفتوحة .. لم تفهم مقصده ، وقال شارحا :

— فضية العزاب علب الفواكه المحفوظة الفارغة . ليس عندي في الشقة غير هذين الكويين ، فإذا زاد الشاربون على اثنين اضطرت لاستخدام الفضية .

وضحكت سوسن وقالت :

— أحب هذه البساطة .

ولم يفهم أتعب البساطة التي يتحدث بها أم البساطة التي يعيشها . ووضع الكوب ، ورأت سوسن السلسلة التي حول عنقه والتي تنتهي بقرص حفرفيه اسمه ، فقامت إليه ومدت يدها وتناولت القرص ومالت تفرؤه .

وملأ عيبرها أنفه ، وخائنه عينه فتسللت إلى الأخدود الساحر بين النهدين اللذين أصبحا نهباً لنظراته بعد أن مالت على صدره ، وأحس خدرا يسرى في أوصاله ، وطلّاع ضباب تتحرك في رأسه لتحجب ذهنه وتعطل تفكيره ، ورغبة أنكرها وإن كانت تتحفز .

ورفعت وجهها وهي ممسكة بالحلقة فلامس شعرها وجهه ، ودنت شفتاها من شفتيه ، والتقت عيناها بعينه . كان فيهما بريق غريب هز كيانه وجن له جنون قلبه .

وقالت في رقة :

— لماذا هذه القلادة ؟

ووسوس له شيطانه أن يضمها إليه ويهوى بشفتيه على شفتيها ، ولكنه راح يجاهد ليعد تلك الهمزات التي تشتتها نفسه . وقال في صوت نم عن حقيقة ما يكابده :

— ليعرفوني إذا مت في غارة جوية أو قتلت في حادثة .

وضحكت سوسن ضحكة ناعمة وقالت :

— لا يهمنى أبحرقون جسدى بعد أن أموت أو يلقونه للكلاب .

وعادت إلى مقعدها وفتحت حقيبتها وراحت تبحث فيها عن شيء ، وفؤاد يرنو إليها مأخوذاً مسحوراً بالمشاعر الرقيقة التي تدغدغ حواسه وتهدهد أمانيه ، ولم يتكلم فما كان يجب أن تفر النشوة التي تمرح في الصمت اللذيذ .

وأخرجت من حقيبتها متراً من القماش وحررته في الهواء كأنما تحرك سوطاً ، وقالت وهي تضحك :

— قم لأقيسك .

ونفض وانتصب بقامته الطويلة وصدرة العريض . وقامت سوسن وضربت الهواء بالمتراً كأنما تضربه بسوط ، وتمنت في تلك اللحظة لو أن ذلك المتر استحال سوطاً لتهوى به عليه حتى ينبثق الدم من جسمه القوى المتين . ولم تجفل من الفكرة بل استشعرت نشوة وتدفقت دماؤها في شرايينها .



قضم الفتنة المائلة أمامه إلى صدره
بذراعيه القويتين وراح يلثمها في سعار

ودنت منه وأدارته حتى أصبح ظهره لها ، ووضعت حرف المتر تحت
ياقة البيجاما وهبطت به حتى نهاية الجاكينة وقرأت القياس ، ثم ذهبت إلى
المكتب ووضعت ورقة فوقه لتسجل فيها الأطوال .

ومالت تكتب وهي تقول :

— ما شاء الله .. طول جاكنتك أطول من جاكنته بابا مرة ونصف .

وابتسم ولم ينبس بكلمة ، وراح يرنو إلى مفاتها وهي مائلة على
المكتب تكتب ، وعيناه تجولان في نهم في ساقها وأردافها . كانت المشاعر
الثائرة على وشك أن تنمرد .

وعادت إليه وطلبت منه أن يثنى ذراعه ففعل ، ووضعت المتر عند
الكتف ومدته على الذراع حتى الرسغ ، ولمس مرفقه صدرها فأبعده عنها
وقد سرى فيه تيار كهربائي وعربدت أحاسيسه ، ولكنها عادت تضغط
مرفقه بقمة صدرها فطار صوابه وخفق قلبه في شدة وغامت عيناه
بضباب الشهوة العارمة .

وتيقنت أن حصون مقاومته انهارت ، وأحست الرجفة التي سرت في
كيانه ، فأدارته حتى صارا وجها لوجه ، ولفت المتر حول وسطه ثم
راحت تجذبه به في خفة حتى التصق صدره وصدرها ، ورفعت إليه عيني
فيهما نداء صارخ وزمت شفيتها تدعوه للقبل .

وطاش لبه وغاب عن وعيه ، فضم الفتنة المائلة أمامه إلى صدره
بذراعيه القويتين وراح يلثمها في سعار .

وانعدم الوجود إلا وجودهما ، وتركزت الدنيا كلها فيهما . وبلغت
النار المشتعلة في جسديهما غايتها فراحا يتعاونان على إخمادها .

ومر الوقت سريعا كأنما كان لحظة . وغادر فؤاد السرير مبهور النفس
زائغ البصر .. وتحرك ضميره بعد أن غفا ، وأخذ يحاسبه ففزع وأحس أن
نارا تلسع روحه وتلهب كيانه .

وتكورت سوسن في السرير وقد نفس شعرها وتهدلت ثيابها ..
وتحامت أن تنظر إلى فؤاد وقالت في صوت ملتانع :

— ماذا فعلت ؟ يا لعارى !؟

ثم أجهشت بالبكاء .

وزاد عذاب فؤاد ، وتجسمت له بشاعة ما ارتكبا وتمثلت له أفواه
الناس تفتح وتقفل تروى فضيحتهما فدارت الأرض به وكاد أن ينهار .
وراحت سوسن تغادر السرير وتقول مولولة :

— ليس لى عيش ، لم تعد لى حياة .

وانهصر قلب فؤاد ، وراح يتلقى ضربات ضميره القاسية وهو يئن
ويصرف أنياه فى غيظ ، وتمنى لو يفقد الوعي ، لو يغيب عن الوجود
ليرتاح من الضنى الذى يكابده والمرارة التى تسرى فيه مسرى الدم .
وأخفت سوسن وجهها بيديها وانخرطت ثانية فى البكاء . فقال فؤاد
دون أن ينظر إليها :

— أخطأنا وعلينا أن نتحمل وزر خطئنا .

فقال فى فزع :

— كيف ؟

وتحفزت ، حسبته سيتنصل مما فعل ، سيلقى عليها اللوم وحدها .
تأهبت لتقول له إنه هو الذى استغل ضعفها وغرر بها ولكنه قال فى بأس
المقاتل الذى ألقى جميع أسلحته مستسلما :

— علينا أن نتزوج .. ليس أمامنا إلا أن نتزوج .

واكتسحتها مشاعر مرحة معرّبة ، ولو طاعت نفسها لانطلقت إليه
تضمه إلى صدرها وتمطره قبلات ، ولكنها تقدمت إلى المرأة في بطن
خافضة الرأس ، وراحت تعيد زينتها .

وظل فؤاد يغدو ويروح كوحش وقع في شرك ، وتزاحمت الأفكار في
رأسه ، وأصبح صدره مسرحاً لعواطف سود تنفت سموها ، وهو
كريشة في مهب الرياح لاتعرف لها قرار ، لقد وعدّها بالزواج ولكن
ذلك القرار لم يمد بعد جذوره في نفسه ليقوى على الصمود في وجه
الأعاصير التي كانت تهب من أغوار ذاته المتمردة على هذا الهوان .

واستدارت سوسن وهمت أن تقول له إنها فقدت عنده أعلى ما تملك ،
وأنها تضع مستقبلها كله بين يديه ليعيد عليها وعده ، ولكنها وجدت أن
خروجها دون أن تنبس بكلمة أوقع في نفسه ، فانسلت صامتة مطأطئة
الرأس تجر عارها .

وأغلقت الباب خلفها ، وسرعان ما رفعت رأسها ورفعت غلى شفيتها
بسمه خبيثة ، وسارت مغتبطة بفوزها . وفتحت حقيبتها وأخرجت منها
ولاعته وأخذت تعبت بها في مرح .

وشردت تفكر ، وتدسس في نفسها صوت أيها يقول : ألد الأخذ
ما سلب . فأشرق وجهها وانشرح صدرها ودار رأسها بخمر الظفر .
وبلغت الدار ، وفتحت لها أمها فحيتها تحية المساء وهي هادئة لم تضطرب
ولم ترتجف ولم تتقاصر نفسها . ودخلت غرفتها فألفت سهير تشتغل
مفرش سرير وهي شاردة تحلم ببيتها الجديد .

ورنت إلى المقرش رنوة طويلة . ورفعت سهرير رأسها تنظر إليها فوجدت بسمة هادئة تطوف بشفتيها . وقرأت في عينيها شيئا غريبا لم تدر ما هو وإن انقبض له قلبها .

وظلت الإبرة في يد سهرير فترة دون أن تتحرك ، وتابعت سوسن بعينيها فرأتها تقف أمام المرآة تنفوس في محاسنها ، ثم ترمز لنفسها بعينيها ، فهزت سهرير كتفها في استخفاف ، وراحت تستأنف أحلامها وهي تزخر فمفرش سرير الزوجية .

٨

كانت ليلة لم ينم فيها فؤاد ولم يعرف ذهنه الهدوء لحظة ، ولم تبخل أعماقه بالمشاعر التي كانت ترهقه وتشعل نار حسرته ضراما ، وراح يتقلب في سريريه كأنما يتقلب على جمر .

شغلته اللحظات القصار التي انقاد فيها للرغبة الجامحة التي أعمت بصيرته ، وخدرت نواحيه ، وعطلت تفكيره ، وأسدلت أسجافا بينه وبين ضميره الذي لا يستيقظ إلا بعد فوات الأوان .

وراح يعجب كيف استطاعت سوسن بعد أن انفردت به مرة واحدة أن تدير رأسه ، وأن تسلبه إرادته ، وأن تجعله يسير معها حتى نهاية الشوط وهو مسحور ، بينما انفرد بسهرير كثيرا وضمها إلى صدره وهمس به شيطانه أن يروى ظمأه مادام الرى مبدولا . ولكنه كان قادرا على أن يكبح جماح شهواته وأن يقد همزات الشياطين .

وراح يقنع نفسه أن سوسن هاجمته دون أن تكون حصون مقاومته متأهبة لتلقى هذا الهجوم ، أخذته على غرة ، أجمعت فيه النار قبل أن يتحرز ، كبلت عقله وهو هاجع ، ونجحت في أن تثير الوحش الكامن في نفسه الذى كان بلا رقيب . ولم يدر في خلدته أن سهير لو تقدمت الخطوة التى تفصل بينه وبين السقوط كما فعلت سوسن لتردى في الهاوية ، ولتهتك ذلك الوهم الكاذب الذى أغراه بأنه على كبح شهواته قدير .

لم يصمد لأول تجربة صادفته ؟ كانت أمامه أنثى تريد ولا تخشى عاقبة ماتريد ، وكان هو بكل جوارحه ومغرياته ونواهيه يريد . وتلاقت إرادتان وتم لهما ما يريدان دون قهر أو تمويه . فإذا كانت أغرته فقد استجاب للإغراء ، وإذا كانت يسرت له الهجوم فقد هجم غير هيب ، هجم وفى أعماقه تردد أهازيح النصر . لحظات تقضت ولكنها قوضت كل حلم ، وبددت جبال الأمان والآمال التى كانت تتراكم كلما التقى هو وسهير ، وغيرت المستقبل المرسوم إلى مستقبل مقسوم ، وامتدت آثارها إلى جوف الغيب الرهيب .

ومر يديه على وجهه ورأسه فى ضيق ، وضغط فوديه ضغطا شديدا ثم تقلب وفكر : أكان محبىء سوسن إلى داره مصادفة حقا ؟ قالت إنها كانت مارة ووجدت الفرصة سانحة لتأخذ مقاس البيجاما ، فإذا كان ذلك صحيحا فكيف كان فى حقيبتها متر جديد ؟ إنها دبرت المقابلة ، فكرت فيها ورسمت كل خطوطها ، إنها ما جاءت إلا وهى مصممة على ألا تخرج من عندى إلا وهى ..

وتقلب ثانية وهو حائق وقال لنفسه فى زجر : سواء أ جاءت مصادفة أم جاءت بعد تدبير فقد قضى الأمر وأصبح على أن أحمل آثاره .

ورن في أغواره صوت يحرضه على الفرار والنكوص ، وإذا به يردد على ذلك الصوت في مرارة : أفر ؟ وأين الفرار ؟ ومن ؟ أصبح زواجى من سهير مستحيلا ، وإن سوسن تقف بينى وبينها كالغول . وإذا هربت من سوسن فكيف أهرب من نفسى ؟ سأعيش خائفا أتلفت ، وسأعذب نفسى بنفسى ، وسأقضى ما بقى من عمرى فى جحيم ، سأتزوج من سوسن ، لا مفر من ذلك ، وهذا هو قرارى لن أحمده عنه ولن يلوى عنقى عنه ما سأقابلة من صعاب وما قد يقف فى طريقى من عقبات وما قد يهب على من أعاصير .

وتقلب ووقعت عيناه فى الظلام على صورته مع سهير الموضوعه فوق الراديو ، فخفق قلبه فى أسى وازدادت مرارته ، ونهض من سريره وأخذ الصورة ورننا إليها طويلا ، ثم اتجه إلى الصوان وفتحها ووضعها فيه . واعدها غدا على السينا ، وما وقع فى خلده أن قدره يجيء فى لحظة طيش أمله الغالى وحبه العظيم .

وارتمى فى السرير وهو يكاد يتمزق من الغيظ ، وملاأت سهير صفحة ذهنه فلم يجرؤ أن يتطلع إليها حتى فى خياله . ازور بوجهه عنها قليلا كيلا ترى فى وجهه الدنس الذى تردى فيه . خانها خيانة لا تغتفر ، ومع من ؟ وأن أنة كاد ينفطر لها فؤاده .

ومرر يده على وجهه فى انفعال وانبهرت أنفاسه وتفصد من جبينه العرق ، وحاول أن يفر من شبح سهير دون جدوى ، كانت تحتل كل نبضة من نبضات فكره المحموم .

واشتد وجيب قلبه وهفت روحه إليها ، وتحركت أحاسيس الحب ولكن كان لها طعم آخر غير ذلك الطعم الذى كان يشتهييه ، كانت مزودة

بخناجر مسمومة تمزق روحه وتقيح نفسه، فينزف ما بقى من راحة الضمير .
إنها في سويداء قلبه ، إن كل خلجة فيه ترخف بجبها ، ولكن كتب عليه
أن يند ذلك الحب ، أن يدفنه في أعماق أعماقه ، أن يتلظى بناره في
صمت ، أن يتحول كيانه رمادا دون أن يبوح .

وعاد مطرقا يجر رجله وفي قلبه حزن ثقيل ، فقد قبر بيديه له أخطر
مفاجأة في حياته ، كان يتخيلها مقابلة عامرة بالسعادة زاخرة بالحبة
مفعمة بأشهى الأحاسيس ، فإذا بحجب الغيب تهتك عن مأساة تقوض
كل أمل وتنسف قصور الخيال .

ماذا يقول لسهر غدا ؟ إنه لا يدري .. إنه في حيرة ، كل ما يدريه أن
غدا ينبغي أن يكون آخر ما بينه وبينها ، أن يكون مصرع جهما ، أن
يكون اللقاء الأخير بين حبيب وحبيبته .

لو كان غدا وداعا ما بعده لقاء لتتصبر ولأمل في أن يجز النسيان أذياله
على الحب الذى صرع ، ولكنه سيلقى حبه دواما ، وسيزيد الحرمان ناره
اشتعالا ، وسيعيش في السعير .

يا للسخرية ! عرف سهر لتقوده إلى سوسن . كانت العوبة في يد
القدر سخرها لتدفع من حسبته رجلها إلى أحضان من كتب عليه أن
يعيش معها .

وتقلب في فراشه وهو يتلوى كالأفعى وقد بلغت ثورة نفسه غايتها ،
وإن كان يحاول أن يوحى إلى روحه الاستسلام لقدره . سيتزوج من
سوسن مضحيا بحبه لأنه ضعف في اللحظة فحق عليه أن يدفع الثمن . وكان
يصر على أن تظل زوجته طاهرة الذيل حتى ليلة الزفاف ، ولكن
سوسن ..

وراح يضرب جبهته بقبضة يده ليطرد الأشباح التي ترهقه من أمره
عسرا ، ويضع أصابعه في أذانه ليصمها عن ضحكات السخرية التي ترن
في أغواره . ثم أن أنه كاد يلفظ فيها أحشاءه .
إنه تعيس .

٩

سار فؤاد في الظلام دون أن يضيء النور ولم يفطن لذلك ، كانت نفسه
أشد قتاما من الليل السرمد الذي يلفه ، فقد كان منطلقا لينطق بحكم
الإعدام على حبه .

وخرج إلى الطريق شاردا اللب منقبض الصدر متوتر الأعصاب تتفجر
في أعماقه براكين الحزن ويتسرب إلى روحه بأس مرير . كان نحائر القوى
متهالكا مسلوب الإرادة مستسلما للوهم الكبير الذي استولى عليه ، وإن
كان مقتنعا في أغواره أنه قوى يضحى بكل شيء حتى حبه في سبيل تحمل
عواقب وزره الذي شارك فيه .

وأشرف على محطة المترو ، ولمح سهير تنتظره فاشتد خفقان قلبه وجثم
حمل ثقيل على صدره ، وجف حلقة وزاغ بصره ، وتمهل في سيره حتى
يفرخ روعه ويلتقط أنفاسه المبهورة .

ودنا منها وهو مضطرب تعبت به أنواء عواطفه ، واستشعر أحشاءه
تسقط وروحه تكاد تفر من فيه ، وتجسمت له قسوة ما هو مقدم عليه
ولكنه لم يتزعزع أو يلين .

ولمحتته فتهللت أساريرها وتوجت شفيتها تلك البسمة الساحرة التي
تنفذ إلى القلوب ، وحركت رأسها فراح شعرها الأسود المتهدل ينوس في
دلال ، ولعت عينهاا الدعجاوان ببريق أخاذ يوقظ مشاعر السعادة
الهاجعة .

وأحس روعتها على الرغم مما كان فيه فربا أساه . لقد ضحى بدرة غالية
على مذبح الشهوة العابرة .. إنها لحظة ولكنها كاللعنة تقتفى أثر الملعون أينما
كان .

وحياها ووقف إلى جوارها يفكر ، فإذا بها تمد يدها وتقبض على يده
وتضغطها في حنان فيرتجف من قمة رأسه إلى أخمص قدمه كأنما سرى فيه
تيار كهربى ، وجذبها من يدها واجتازا معا شريط المترو واتجها إلى المحطة
المقابلة .

وعجبت سهير من تصرفه ، إنهما منطلقان إلى السينا . إلى القاهرة ،
فما الذى حدا به أن يتوجه إلى المترو المتجه إلى الصحراء ؟ لعله حن إلى
ذلك المكان الهادئ الذى كانا ينسلان إليه في غفلة من الأعين ليتقابلا هناك
قبل أن تعلن خطبتهما . إنه لشيء جميل أن تنهف النفوس إلى مسarach
الذكريات .

وجاء المترو وركباه وجلسا جنبا إلى جنب ، وكانت سهير إلى جوار
الشباك لأول مرة . فما عادت تخشى أن يراها أحد معه ، إنها هادئة تنعم
بلذة الاطمئنان .

والتصقت به وسرى في بدنها خدر مشتبهى ، وظلت صامتة تسعد
بالمشاعر الساحرة التى تدغدغ حواسها ، بينما كان يتلظى بالنار التى ترعى
فيه . وهم أكثر من مرة بأن يتكلم ولكن ماتت الكلمات على شفتيه .

ووصل المترو إلى نهايته ، وأفاقت سهير من أحلامها وهي دهشة من وصوله السريع بينما خيل لفرّاد أنه سار دهرًا طويلًا ثقيلًا .

وانسابا في الطريق الهادئ الذي لا تكاد مصابيحها تهتك الظلام المترام على جنبه الواصل إلى المقهى القابع على حافة الصحراء ، والتصقت به ومدت يدها تضغط على يده وقد تأهبت ليضمها إلى صدره ويقطفها أشهى ثمرات الحب البريء ، ولكنها أحست رعدة تسرى في يده فأنكرته وتطلعت إلى وجهه ، فانقبض قلبها وقالت في لهفة :

— ماذا بك الليلة ؟

ففر زفرة شديدة لينفث دخان مشاعره المتهبة التي تلتهم صدره ، وقال في صوت قادم من أعماق بعيدة مضطربة :

— سهير . لن نتزوج .

ورفع الحمل الثقيل عن صدره لينقض على سهير انقضاض الصاعقة ، ودارت الأرض بها وقالت في ذهول :

— ماذا تقول ؟

فقال في صوت حزين :

— لن نستطيع أن نتزوج .

فقال في انفعال :

— أجننت ؟ أبعد أن تعلن خطبتنا على الملأ تعود لتتكص على أعقابك ؟ إذا كنت هازلًا لماذا أصررت على أن تم الخطبة ؟ إذا كنت تريد أن تسرى ..

فقال مقاطعا وهو يحس نياط قلبه تتمزق :

— بالله كفى ، يكفيني العذاب الذي أقاسيه .

— أشفقت على نفسك من أن تخدشك كلمات ، وأنا .. ألم تفكر في
الهوان الذى ستمرغنى فيه ، ألم تفكر فى قلبى الذى طعنته وألقىته تحت
الأقدام ، لقد ضعت .. ضعت إلى الأبد .
فقال فى تخاذل :

— سهير ..

فقالت فى انفعال :

— كفى لأريد أن أسمع شيئاً ، أنا التى أستحق ماأنا فيه الآن لأننى
صدقتك .. وثقت بك .. وسحرنى كلامك المعسول ..
فقال فى حرارة :

— أقسم بالله أننى أحببتك من كل قلبى ، وأننى لازلت أحبك .
فقالت وقد اتسعت عيناها :

— إذا كنت تحبنى ولا تزال تحبنى فلماذا تمرغنى فى الوحل ؟ لماذا تجهز
علىّ بيدك ؟

فقال وهو مطرق :

— سوسن ..

وأحس قلبها الفاجعة فقالت فى فزع :

— وما دخل سوسن ؟

فقال وهو يضطرب :

— سأتروجها ..

فقالت وقد زاد فزعها :

— لماذا ؟ ..

فقال وهو يشيح بوجهه عنها :

— بالله كفى ، ارحمىنى ، لا تزيدى نارى اشتعالا .
فأحست مقنا بغيضاً يمر فى صدرها ، وأفاعى البغضاء تنهش
جوفها ، ومرارة فى طعم الصبر تندفق إلى فمها . فقالت وصدرها يعلو
وينخفض وعيناها جاحظتان :

— سلبت منى كما سلبت كل أشياء . حدثنى قلبى بذلك وقد وقع
ما خشيتيه . لو تقدم إليها كل رجال الأرض لتختار منهم زوجاً ما اختارت
أحدًا غيرك لأنها أحبتك بل لتحرمنى منك ، سوسن .. هنيئاً لك بها ..
هنيئاً لك بالأخت التى سلبت من أختها خطيبها .
وتركته وانطلقت منفعة والدموع تملأ مآقيها ، وأسرع خلفها
ينادىها :

— سهير ..

ولحق بها وأمسكها من يدها فجذبت يدها منه ، وقالت وهى تبكى :
— دعنى .. انتهى كل ما كان بيننا .
وسارت محمومة ، وأحست خاتم الخطبة فى أصبعها فخلعته وتمهلت
حتى لحق بها ومدت به يدها ووضعته فى كفه ، ثم انطلقت لالتوى على
شئ ودموعها تغسل وجهها .

كان جوفها أتونا من النار ، وكانت الأفكار السود تحتشد فى رأسها ،
وكانت مشاعر الحزن تكتم أنفاسها ، وكان صفير الرياح فى أذنيها أشبه
بعويل ، وكانت نفسها متقيحة تقطر سما .

ركبت المترو وهى ذاهلة عن كل ما حولها إلا عن مرارة هزيمتها والحقد
الذى يربو ويتشعب حتى يمتد إلى كيانها جميعه ، وأسنت عواطفها حتى
تمنت أن تقتل سوسن .

وبلغت الدار وهي ثائرة لا تكاد ترى طريقها ، وفتحت أمها لها الباب فاندفعت كالعاصفة تلتفت والشرر يتطاير من عينيها ، ولحمت سوسن مقبلة فأسرعت إليها ولطمتها لظمة قوية أودعتها كل غضبها وراحت تصرخ فيها :

— يا مجرمة .. يا سافلة .. يا عرسة .

وأسرعت الأم مرعوبة إلى سهير وهي تقول في دهش :

— ماذا جرى ؟

وأحست سوسن راحة وعريدت في جوفها نشوة عارمة ، كانت اللظمة أسعد نياً تلقته ، صدق فؤاد وعده وسيتزوجها ، وراحت تنظر إلى سهير وهي منتشية بخمر نصرها ، وقالت سهير في انفعال :

— المجرمة .. السافلة .. سرقت فؤاد ، سلبته مني في خسة دون

خجل . ليتني لم أكن أختها .. ليتها لم تكن أختي ، ليتني لم أولد ..

وغلبتها دموعها وانهارت قواها فارتجت في صدر أمها تنشج وتنتحب حتى لتكاد كبتها تنفطر من البكاء ، وسوسن هادئة تنعم بأحاسيسها . ودارت الأرض بالأم ودق قلبها دقا عنيفا وسرت في بدنها قشعريرة ، وقالت في صوت مرتجف :

— هذا غير معقول . من قال لك هذا ؟

فقالت سهير وهي تبكي :

— هو .. وقد أعدت إليه خاتمه .

ولم تجد الأم ما تقوله فضمت سهير إلى صدرها في حنان ، وراحت تنظر إلى سوسن نظرات حائرة وقد زاد في حيرتها البشر المتألق في وجهها .

وسارت الأم وهي تلف ذراعها حول سهير وهي نهب لعواطف متباينة . كان ما يجري أمامها مفاجئاً متتابعاً سريعاً قاسياً حتى أنها عجزت عن أن تلاحقه بفكر سليم ، ودلفت إلى غرفة بنتها ووضعت سهير في سريرها وأخذت تعاونها على خلع ثيابها ، وهي صامته ينز قلبها أسى وحرنا .

وأضجعتها في فراشها ومررت يدها على شعرها في حنان ، ثم مالت وطبعت على خدها قبلة فامتزجت دموعها بدموع ابنتها الواطئة ، ثم انسلت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها .

وذهبت إلى حيث جلست سوسن وجعلت ترنو إليها في ريبة ، ثم قالت في صوت خافت مرتعش :

— كيف حدث هذا ؟

فقالت سوسن في هدوء دون أن تطرف لها عين :

— كما يحدث دائما . اكتشف فجأة أنه لا يجب سهير وأنه يحبني أنا .

فقالت الأم في لوعة :

— وسهير أختك ألم تفكرى فيها ؟ ألم يقع في خللك أنك تحطمين

حياتها . . وتجهزين عليها ؟

فتململت سوسن ووضعت ساقا على أخرى وقالت في ضيق :

— قلت لك إنه أحبنى ، هل كنت أستطيع أن أمنعه من أن يحبني ؟ إن

أمر القلوب ليس في يدي .

وبلغ صوتها مسامع سهير فهبت من فراشها نائرة ، وفتحت الباب

وقالت في انفعال :

— كذابة .. كذابة .. إنه لا يجبك .

فقال سوسن لتزيد في عذابها :

— إذا كان لا يجنى فلماذا هجرك ليتزوجني ؟

وهجمت سهير عليها تنشب أظافرها في عنقها وهي تقول :

— لأنك أوقعته في حباتك ، شيطانة .. شيطانة .

واشتبكت الأختان يتشاجرن والسبب يتدفق في حنق من فم سهير ،

والأم تحاول أن تحجر بينهما وهي تولول :

— يامصبيتي .. يامصبيتي ، ماذا سيقول الناس عنا ؟ ماذا سيقول

الناس غدا ؟

ونجحت الأم في أن تبعد سهير عن سوسن ، وانسلت سوسن في هدوء

لتغيب في إحدى الغرف ، ولحت سهير زهرية على النضد فاخترطفتها

ورفعت يدها لتلقى بها في رأس سوسن ، وأحست الأم الخطر فدفعت يد

سهير وهي تقذف قذيفتها فابتعدت الزهرية عن سوسن وتخطمت

أمامها ، فأسرعت تختبئ وهي تحمي رأسها بيدها .

ووقفت سهير مبهورة النفس تصرف أنيابها في غيظ وترمي الباب الذي

أغلقتة سوسن خلفها بنظرات نارية ، ثم دارت على عقبها وذهبت إلى

غرفتها لتنفرد بآلامها .

وبقيت الأم وحدها فجلست تجتر مخاوفها وأحزانتها ، ومرت ساعات

من الليل حتى كاد ينتصف ، ونامت سهير تتفرع بينما نامت سوسن وعلى

شفتيها بسمه رضا .

وجاء جلال أخيرا فهرعت إليه الأم وقالت :

— فؤاد فسخ خطبة سهير .

فانتبه جلال وقال :

— ماذا تقولين ؟

واستمرت في خديتها :

— ويريد أن يتزوج سوسن .

فهدأت نفسه وقال :

— مبارك .

فقالت في فزع :

— مبارك ؟

— ألم تكن هذه أمنيتك ؟ ألم تكن رغبتك ؟

فقالت الأم وهي مرعوبة :

— وسهير ؟ إنها تحبه .. إنها ..

فقال مقاطعا :

— هذا عبث أطفال .. هذا ليس حبا .. ماذا تعرف عنه ؟ شكله ؟

قوامه ؟ الحب الحقيقي لا يكون إلا بعد الزواج .

فقالت في لوعة :

— حبيبتى ياسهير . كبدى عليك .

فقال جلال في دهش :

— أمرك عجيب ! ألم تكن هذه أمنيتك ؟ ألم تتوجهى إلى القبلة

وتطلبى من الله أن يكون فؤاد من نصيب سوسن ؟ كانت أبواب السماء

مفتوحة .

أطرقت الأم وخيل إليها أنها هى سبب كل ما حدث ، فتمزق قلبها

وقالت نادمة :

— ليت لسانى قطع ساعتها .

وأحس جلال أن الخمر طارت من رأسه ، فانسل إلى حيث يضع
زجاجته فأخرجها وراح يصب منها في كأس ، ولحقت به الأم ورأت
ما يفعل فقالت في حنق :

— تريد أن تهرب ، لا تحب أن تفكر في بناتك .

فقال وهو يرفع كأسه :

— كلما فكرت في بناتك أحسست الشيخوخة تدب في أوصالي ،

وأن قديمي تسيرني إلى قبري . لأنني لا أريد أن أموت أبدا ، أريد أن أظل
شابا وأن أعيش في شبابي الدائم .

ورفع الكأس إلى شفثيه وقال :

— هذه سر شبابي .. هذه هي حياتي .

وألقى بالكأس في جوفه ليتخفف من أعبائه ويعود إلى طفولته .

١٠

ذهب فؤاد إلى المقهى ليقابل جلال وهو قلق ، ولحبه جالسا يلعب
الطاولة فوقف هنيهة يجمع نفسه التي ذهبت شعاعا ، ويسترد أنفاسه
المبهورة ، ويعد الرهبة التي تدسست إلى جوفه .

وتقدم في بطاء وهو يترقب ، كان يفكر فيما يقوله ويزن كل كلمة
سينطق بها كيلا يخذل الرجل ولقلا يزيد ثورته عليه . إنه سيثور حتما
لسهير ، وقد وطن فؤاد نفسه على أن يتحمل غضبه ، وأن يخفض له جناح
الذل حتى تمر العاصفة .

وأصبح على قيد خطوة منه فاشتد وجيب قلبه ، وجف حلقه واضطرب رهبة ، وزاغت نظراته وتمنى لو يفر .. ولكنه تقدم وقال :
— السلام عليكم .

كان لصوته رنة غريبة في أذنيه حتى كاد ينكره . والتفت جلال فلما
رآه لم يعبس بل تطلق وجهه وقال وهو يقف لمصافحته :
— أهلا فؤاد .

وسحب كرسيًا إلى جواره وقال وهو يشير لفؤاد :
— تفضل .

وقعد فؤاد وراح جلال يستأنف لعبه ، واشتدت رهبة فؤاد ،
فترحيب الرجل به وابتسامته له وإقباله عليه توحى بأن الرجل لا يدرى
ما جرى . واستشعر فؤاد وطأة العبء الذى كتب عليه فى لحظة من
لحظات الزمن الحاسمة أن يحمله ، فأحس كأن خنجرا يشق صدره ،
وراح ينفث ذوب نفسه فى صمت .

ومر الوقت وئيدا وئيدا وفؤاد ككرة تتقاذفه أوهامه ومشاعره
ومخاوفه ، وراح يتردى فى قرار سحيق من العذاب فراحت نفسه تن ،
تمنى لو أن هذه الجلسة تنتهى على أية حال .

وأغلق جلال الطاولة واستأذن من زميله وانتحى بفؤاد جانبا ، وأحس
الرجل ما يكابده الشاب فسخر منه فى قرارة نفسه ، ولم يشأ أن يطيل
عذابه ، وأراد أن يعاونه على تبديد ذلك القلق الذى يدثره فقال فى هدوء :
— بلغنى ما عزمت عليه .

فقال فؤاد فى صوت متهدج وقد أطرق برأسه :

— يحز في نفسي يا عمى أن أسىء لسهير .. ولكن هذا الأمر خرج من
يدي .. لم يعد لي عليه سلطان .

وصمت ، ولم يشأ جلال أن ينتظر حتى يخبره بما جاء به فقال :
— وسوسن أخت سهير . قلت لك ذلك عندما جئت إليّ أول مرة .
ليتك استمعت إليّ .

فقال فؤاد وهو يزفر :

— ياليت :

وقال جلال وفي عينيه نظرة استخفاف :

— إننى لا أندم على شيء فات ، كل شيء له أوان .

وصمت قليلاً ثم قال :

— متى تريد أن تعلن خطبتك ؟

فقال الشاب في ارتباك :

— في أى وقت .. غداً أو بعد غد .

— وما الفرق بين الغد والآن ؟

فقال فؤاد في دهش :

— الآن ؟

— نعم الآن . أليس الخاتم معك ؟

فقال فؤاد وقلبه ينفطر :

— نعم .

— هيا ضعه في إصبع سوسن .. أن يكون في إصبعها خير من أن
يكون في جيبيك .

وضحك جلال وترجرت كرشه ، وقام وفؤاد خلفه .

- واندسا في تاكسي وقال جلال :
- أظن ليس هناك ما يدعو لتأخير الدخلة .
- أبدا .
- مارأيك في أن تكون بعد أسبوعين ؟
- كما ترى .
- هذا أفضل .

وصمتا وراح فؤاد يفكر في الرجل الجالس إلى جواره وهو يعجب ، إنه يتحدث عن فسخ خطبة ابنته ليخطب الثانية في بساطة دون أن يفعل ، ويتحمس إذا مالعب عشرة « طاولة » .

وراح فؤاد يفكر : من أي طراز من الناس هذا الرجل ؟ ولكنه لم يعرف . كل ما وصل إليه أنه طراز غريب من البشر .

ووقفت السيارة أمام البيت ، وهبط الرجلان : جلال هادئ ساكن ، وفؤاد تعبت به مشاعره المتباينة المتلاطمة . كان يحس أنه قادم على عمل ظالم ، سيسلب صاحب حق حقه ليعطيه من لا يستحقه ، ولكنه كان يستشعر في الوقت نفسه أنه قادم على تضحية تختمها عليه رجولته ..

كان حاقدا على نفسه معجبا بها في وقت واحد ، منقبضا قلقا حزينا حائرا ، وإن كان بصيص من النور يجاهد ليشق له طريقا في ظلمات نفسه المتراكمة بعضها فوق بعض طبقات .

ودس يده في جيبه وتحسس الخاتم فيه ، فأحس لسعا في روحه ورجفة في كيانه وخورا يدب في أوصاله ورهبة تحتويه .

ووضع جلال المفتاح في الباب وأداره ، ثم قال بصوت مسموع ليصل
إلى أذان من في البيت :
— تفضل .

كانت الأم جالسة على الكنبه وسوسن غائصة في مقعد كبير واضعة
ساقا على ساق وسهير في مقعد يواجه الداخل . واتجهت العيون لترى من
القادم ، فلما رأت سهير فؤاد اضطربت وخفق قلبها كجناح حمامة ،
وراودتها فكرة الفرار ولكنها تسمرت في مكانها .
ولاحت الحيرة في وجه الأم ، وراحت تسترق النظر إلى سهير والحنان
يتدفق في أغوارها ، ليمتزج بالقلق والعواطف المتنازعة المنقسمة المعقدة
التي استكانت لها .

ورقص قلب سوسن طربا ، فطنت إلى شيء ، فما جاء أبوها في هذه
الساعة إلا ليتيح لفؤاد فرصة إعلان خطبته ثم يختفى ليذوب في ليليه
وحياته التي يعيش لها .

وتقدم فؤاد يصافح جميع من في المكان وإن كانت عواطفه كلها
تركزت في سهير . ومد يده وصافح الأم ، ووضع يده في يد سوسن فإذا
بها تضغط على يده وفي عينيها بسمه وفي وجهها بشر .

وخطا نحو سهير خطوة وهو مزعزع النفس خائر ، أنهكته الأحاسيس
التي تنهش جوفه دون رحمة ، ومد يده المرتجفة إليها فوضعت كفها في
كفه ، كانت يدها باردة فرت منها دماؤها .

وقال جلال وهو يشير إلى غرفة الاستقبال :
— تفضلوا .

وتحرك فؤاد وهو مرتبك لا يدري أيتقدم أم يقدم سوسن أم سهير ؟
ولاحظ جلال أن سهير تتأخر لتتسحب فاتجه إليها ووضع ذراعه خلف
ظهرها وجعل يدفعها في رفق لتسير معه ، كان يرى أن الأفضل أن تعلم
الأمر وتنقبض اللحظة ثم يتلاشى كل شيء .

وسارت سهير مسلووبة الإرادة ، ودخلت غرفة الاستقبال معه متوترة
الأعصاب مرهفة الحس مطبقة الفم حتى لا تخرج الأنة المكتومة التي
تجاهد لتنتقل منفسه عن النار التي تشوى كبدها .

وانسلت سوسن في رشاقة وذهبت إلى غرفتها لترتدى ثوبا أنيقا ،
وأدامت النظر إلى نفسها في المرآة ورمزت بعينها ، ثم خرجت مهرولة
واتجهت إلى المطبخ .

ودخلت غرفة الاستقبال تحمل صينية عليها أكواب الشراب وهي
تتقدم في رشاقة متكلفة .. ودارت بالأكواب على الجميع ، ورفضت
سهير أن تتناول شيئا وإن خطر لها أن تأخذ الكوب وتلقيه في وجهها .
وأحست الأم النار ترعى في حشاها وتمنت لو تنصرف سهير لتفر من هذه
القسوة القاتلة .

وقال جلال موجهها الحديث إلى سوسن وهو يفسح مكانا بينه وبين
فؤاد :

— تعالى هنا .

وجلست سوسن وهي تبتسم ، وقال لها الأب :

— جاء فؤاد ليعلن خطبته ، ليضع الخاتم في إصبعك .

ومد فؤاد يده في جيبيه وأخرج الخاتم ، ودارت الأرض بسهير
وانفجرت في جوفها أوعية المقت والبغض والكراهية ، فإذا بها تبغض

حياتها ودنياها وأباها وأمها وفؤاد « والعرسة » الباغية ، وهبت نائرة وانصرفت من الغرفة كالعاصفة وإن كانت لا ترى طريقها ، فقد حجبت دموعها بينها وبين العالم الآسن المتعفن .

وارتجفت يد فؤاد بالخاتم حتى عجز برهة عن أن يضعه في الإصبع الطويلة البيضاء التي كان يقبض عليها بين أصبعيه ، وأسبلت سوسن عينيها متأهبة للقبلة التي سيطبعها على خدها ولكنه لم يفعل ، كان مشغولاً عن كل ما حوله بمشاعر الندم التي راحت تمور بين جنبيه .

وأشاحت الأم بوجهها ومسحت بمنديل في يدها دموعه المنحدرة على خدها ، وقال الأب وهو مشرق الوجه :

— مبارك .

وكأنما كان ذلك إيذاناً بالانصراف ، فنهض فؤاد مستأذناً وصافح الأم وسوسن وانصرف ، وخرج جلال معه دون أن يخطر له على بال أن يذهب إلى سهير يواسيها ويخفف بلواها . كان يعتقد في قرارة نفسه أن ما يحسه الشاب في هذه السن إن هو إلا أحاسيس صبيانية ما أسرع أن تتبدد السحب إذا ما أشرقت شمس النهار .

والتفتت الأم إلى سوسن وقالت في رجاء :

— سوسن .. ارحمى أختك ، لا تريدى في عذابها ، يكفيها ما هي فيه .

فقالت سوسن في سخرية :

— وماذا تريدين منى أن أفعل ، أن أذهب إليها أبكى معها ؟

— لا تثيريه .. لا تحاولي إغاظتها . هذا كل ما أريده .

وصمتت سوسن ولم تعد بشيء ، فهي تحس راحة إذا مارأت غيرها

يتألم ، وتنقلب هذه الراحة نشوة إذا كانت هي مبعث ذلك الألم .

وسارت سوسن إلى حيث كانت سهير ، ووقفت أمامها تعبت بالخاتم الذى وضع فى أصبعها ، ورأت سهير الخاتم فربا حقدتها ، فقالت لتعكر صفو سوسن :

— كان هذا الخاتم بالأمس فى إصبعى وهو اليوم فى إصبعك من يدرى فى إصبع من سيكون غدا ؟
فقالت سوسن فى تحد :

— سيكون فى إصبعى غدا وبعد غد وبعد سنة وبعد عشرين سنة .
— سيكون فى إصبع أية امرأة يبدأ اسمها بحرف السين ، فهو محفور فيه ف . س . ، وهو لا يجب أن يتكلف ثمن خاتم آخر .

واقتربت سوسن منها فقالت وهى مشغولة بمراقبة نفسها فى المرآة :
— اسمعى نصيحتى ، من السهل أن تحصلى على الشئ ولكن من الصعب أن تحافظى عليه .

فقالت سهير بانفعال :
— من السهل أن نحصل على الشئ بالغش والاحتتيال ، ولكن الصعب أن نحافظ عليه بشرف .

ولم ترتجف سوسن ولم تطرف لها عين ، وقالت :
— لولا أننى لا أريد أن أعكر صفو الليلة لصفعتك .
فنهضت سهير متحدية ، وقرأت سوسن الشر فى عينها فانسلت من الغرفة وهى كارهة ، ففى أغوارها السحيقة رغبة أن تضرب وأن تضرب ، وأن تؤلم وأن تثير نشوتها بالألم .

كانت الأم جالسة على الكنية باسرة الوجه شاردة اللب فقد اندلعت نار البغضاء في البيت مذ ظهر فؤاد . صارت الأختان تتقابلان وتتقاذفان السباب لأنفه سبب وبلا سبب . ولجت سهير في البغضاء وكانت تسخر من أبيها ولا تكتم مشاعرها المقيته نحوه ، ومما زاد في أسى الأم أنها استشعرت فتورا في عواطف سهير نحوها ، وهذا يحز في نفسها ويزيد في أساها رهبتها من أن يتحول ذلك الفتور كرها .

تمزق قلبها وذرفت الدموع لما أصابها ، وما كانت تستطيع أن تفعل غير هذا فهي ابتها وسوسن ابتها ، ولكن شاء سوء حظها أن تصبح الأختان غريميتين متنازعتين على رجل واحد ، كأنما خلت الدنيا من الرجال ولم يبق غيره ! إنها تحبهما من سويداء قلبها ، لا تؤثر إحداهما بحب يفوق ماتكنه للأخرى ، فإن كانت قد تمتمت أول الأمر أن يصبح فؤاد من نصيب سوسن ، فما ذلك إلا لأنها كانت تستشعر أن سوسن جار عليها زمانها . إنه قلب الأم يفتح كنوزه ليغمر بذرره ولآله من يحرمه الزمان من عطفه . إن كان قلبها قد مال إلى سوسن إبان أزمتها فهو يميل الآن إلى سهير في محنتها ، وما استطاع بميله هذا أو ذاك أن يحقق أملا أو يمسح بيده الحنون جروح النفس المتقيحة .

وفكرت في فؤاد ، مرت عشرة أيام كاملة دون أن يطرق بابهم أو يسأل عن سوسن ، وباتت تخشى غدراته فإنها لا تتق في الرجال ، لقنها ذلك الدرس جلال ، أمضى معها ليلة مترعة بالصفاء وأمضى الليلة الثانية

في أحضان زوجته الثانية ، ظل يمرح ويلعب ويضحك ولم يتفوه بكلمة واحدة تم عن غدره وأنه قد جهز كل شيء لزواجه الجديد .
آه لو غدر فؤاد بسوسن لتقوض البيت كله واندلعت فيه النيران . وربما قلقها ، وراحت أوها مها تمدها بصورة قائمة ، فراحت تعجب من نفسها ومن زوجها وتتساءل كيف قبلا أن يزوجا ابنتهما من شاب جاء إليهما بلا أهل وبلا نسب ، ودون أن يعرفا عن ماضيه شيئا كأنما ولد ساعة أن التقى بهما !

كان أبوها يقول إن البنات يفتحن أمام الصائغ والضائع أبواب البيوت المغلقة . وصدق أبوها فأبواب الأسر تفتح لكل من هب ودب من الراغبين في الزواج .

ودق جرس الباب ، وهرعت سوسن إليه وفتحته فإذا بفؤاد يدخل ، وما أن وقعت عينها الأم عليه حتى تبخرت أوها مها وذهبت تستقبله وترحب به . وجلسوا في غرفة الاستقبال ، وراحت سوسن تحدثه عن الثياب التي أعدتها وعن أشياء كثيرة أخرى وهو يتظاهر بالإصغاء ، فقد كان مشغولا بإحساساته التي تموج في أرجائه — إنه أحس روحه تهفو إلى سهير . جنت كل خلجة من خلجاته وكل حاسة من حواسه إليها ، كانت عيناه في شوق إلى رؤيتها ، وأذناه متعطشتين إلى عذب صوتها ، وأنفه يشتهي أن يشم عبيرها ، ولسانه يهوى مناجاتها ، أما أصابعه فتتلهف على لمستها السحرية .

وجعل يختلس النظر إلى الباب ويصيخ السمع لعله يسمع وقع أقدامها ، وأرهفت حواسه ودق قلبه دقات تحرك الحنان واللهفة والرغبة . كانت كل أمنيته أن تقدم وأن يحس قربها .

وقالت الأم لسوسن :
— هاتي ثوب السهرة .

فقامت سوسن وجعل فؤاد يتبعها ببصره : كانت رشيقة متناسقة الأعضاء زاخرة بالفتنة والإغراء . كانت أنضج من سهير وأكثر أنوثة وجاذبية . وتمرد فؤاده واشتد وجيبه ، وغامت أعماقه بسحابة من الرهبة فأطرق في أسنى ، وهو واثق من أن ثورة نفسه إنما قامت من أجل سهير ، وما درى أن بذرة من بذور الحب لسوسن ألقيت في روحه في غفلة منه . وعادت سوسن تحمل أثوابا كثيرة ، وأخذت في تقديمها إليه ثوبا ثوبا وهو يقول :

— رائع .. جميل .. مذهش ..

وقدمت إليه بيجاما من الحرير الأبيض وقالت في دلال :
— بيجامتك .

والتقت عيناه بعينها فإذا في عينها بسمة خبيثة . خيل إليه أنها تسخر منه فأسبل جفنيه وارتجف وهبت عواطفه مزججة .. وقامت الأم وغادرت الغرفة لتعد شيئا تقدمه إليه ، وما أن غابت الأم عن أعين سوسن حتى مالت على فؤاد وطبعت على شفثيه قبلة طويلة حارة .

واضطرب فؤاد واشتد وجيب قلبه ، وتدفقت دماؤه حارة في عروقه ، ودار رأسه واختلطت عليه مشاعره فلم يعد يدري أيخفق قلبه استجابة لأساه أو استجابة لرضاه . كانت عواطفه تمتزج امتزاج الماء الملح الأجاج بالماء العذب الفرات .

وقالت سوسن في إغراء :

— سأذهب بعد غد إلى الشقة لأصف ثيابي في الصوان .

فقال فؤاد دون تفكير :

— وحدك ؟

ورنت إليه رنوة ساحرة وقالت :

— لا ، مع أُمى .

وأحس ندما ، ظاهره أن لسانه زل وتسرع ، وباطنه الذى لا يدريه أنه

كان يشتهي أن تكون وحدها .

وقالت سوسن بعد أن جلست وقدمها تداعب قدمه :

— بعد خمسة أيام سأكون فى الشقة وحدى أنتظرک .

فقال فؤاد :

— كيف ستكونين وحدك ؟ بعد خمسة أيام ستكون دخلتنا .

واضطرب وراح يتضاءل ويتساءل كيف تحدث عن الدخلة هكذا

ببساطة . لقد سبقت دخلته كل ترتيب ، وأعرضت عن كل عرف ،

وولدت شاذة قبل أوانها .

وجاءت الأم تحمل صينية عليها بعض الفواكه ووضعتها أمامه ،

ونفضت سوسن تعد ثيابها .

ودخلت سوسن غرفتها وسهير جالسة على حافة سريرها تكاد تموت

كمدا ، ولم تلتفت سوسن إليها ولم تعبأ بها وراحت تعلق أثوابها فى

أماكنها .

وعثرت سوسن على مفرش السرير الذى كانت سهير تعده لبيت

الزوجية فجذبه وبسطته وراحت تتفرس فيه وفى عينها طمع :

ولمحت سهير مفرشها فى يد سوسن فاربد وجهها وحن جنونها ،

وهبت واقفة وقالت وهى ترتجف غضبا :

— دعيه في مكانه .

فقالت سوسن في هدوء مشوب بزرارية :

— وماذا ستفعلين به ؟

وغلى مرجل غضب سهير ، فقالت وهي تتقدم لتنتزعه منها :

— هاتي المفرش .

ووضعت سوسن خلف ظهرها لتحميه منها ، وهجمت سهير عليها

وأمسكت بطرفه وأخذت تجذبه وهي تصيح :

— هاتي المفرش ياسافلة .. يا عرسة .

وبلغت أصوات الأخنتين مسامع فؤاد والأم ، فاضطرب فؤاد

وهاجت مشاعره بعد أن كادت تهجع ، وولد في نفسه شعور جديد لم

يكن ثورة ولم يكن حبا ، كان إشفاقا على سهير . وأطرقت الأم قلقة

حائرة تراودها فكرة الذهاب لإخماد النار التي اشتعلت ، ولكنها خشيت

أن يوجب ذهابها اللهيبي اندلاعا فصبرت وهي تدعو الله من أعماقها أن

تنقضي هذه الليلة على خير .

وأصبح نصف المفرش بين يدي سوسن ، ونصفه الآخر بين يدي

سهير . واستجمعت سهير قواها وسقته شقا ، كان أهون عليها أن تتلفه

من أن تسلبه العرسة منها .

وابتسمت سوسن ، كانت راضية حقا .. فإذا كانت لم تأخذه فقد

حرمتها أياه ، وهذه غاية أمانها ، وتركته لها وانصرفت ووجهها يتألق .

ونظرت سهير إلى المفرش الممزق وصدرها يعلو وينخفض ، وفي

صدرها ثورة وأسى وفي عينيها دموع ، فقد رأت فيه قلبها الممزق وآمالها

التي تبددت .

وفاض حزنها ، وضغطت ثورتها المكبوتة على أعصابها فتوترت حتى كادت تنقطع ، فانكبت في سريرها على وجهها ، وراحت ترتفع وتنخفض بكل جسمها كأنها كرة ، وتضرب الفراش بيديها لتنفس عن طاقة الشعور المذخورة التي كادت تنفجر .

١٢

وجاء اليوم الذي ستحمل في ليلته سوسن إلى بيت الزوجية ، ودبت في البيت حركة غير مألوفة : كانت الترتيبات تجري لاستقبال المدعوين ، بعض السجاجيد تفرش ، كراسي خيصران تصف ، كراسي مذهبية تنسق . كرسيان مذهبان عاليان يوضعان في الصدر ويزينان بالورود . وراحت الأم تغدو وتروح بين أقاربها وأقارب زوجها الذين جاءوا من البكرة مع أولادهم وخدمهم ليشاركوا الأسرة أفراحها ، وقالت لها لإحداهن :

— العقبى لسهير .

فقالت الأم وهي تبتسم :

— في حياتك إن شاء الله .

وتحركت سوسن وحولها هالة من صاحباتها وأقاربها ، وغادرن الشقة وانطلقن إلى الحلاق وفي روعسهن جميعا أمنية واحدة ، أن يقابلن الليلة فتى أحلامهن . وكانت العروس وحدها هي الواثقة من تحقيق الأمنية الغالية . وقبعت سهير في غرفتها وقد أغلقت عليها بابها . كانت متوترة

الأعصاب ضيقة الصدر ثائرة حانقة ، وكانت تستشعر في أعماقها حزنا ثقيلًا لا تقوى على حمله .

ومر الوقت في صخب وحركة ، وتقاطرت السيدات والأم ترحب بهذه وتلك وهي تتلفت ، كانت قلقة لانزواء سهير ، وزاد في قلقها نظرات التساؤل التي كانت تقرأها في العيون .

وانتصف النهار ، وتقضت ثلاث ساعات ، وأخيرا أقبلت سوسن تحف بها الفتيات وانطلقت الزغاريد ترحيبا بالعروس . وصكت آذان سهير فأحست كأنها خناجر سددت لقلبها ، وتلوت وهي تنن كحيوان جريح ، وراحت تكتم فمها بيدها حتى لا يبلغ نشيجها أسماع النساء اللاتي تغص بهن الدار .

وانهالت الضحكات عليها كأنها سياط ، وراحت الضوضاء تخزها كالإبر وزادت أساها ، فلم تعد تحتمل النيران المندلعة في حشاها ، كان عليها أن تفر قبل أن يصيبها البوار .

وارتدت ثيابها على عجل ، وفتحت الباب فرأت نفسها أمام أمها وجها لوجه .. توقفت برهة ، وقبل أن تتحرك كانت الأم قد دخلت وأغلقت الباب وقالت في صوت خافت مضطرب :

— إلى أين ؟

فقالت سهير في يأس :

— إلى أي مكان بعيد عن هذه الدار .. إني أحترق .

فقالت الأم في توسل :

— سهير .. أنت عاقلة .. تحملي الليلة من أجلى ..

فقالت سهير .. وهي تتألم :

— دعيني .. دعيني أخرج أرجوك . لو بقيت هنا ساعة أخرى
سأموت .. السكاكين تمزق أحشائي .. جبال جثمت على صدري ..
قلبي ينفطر .. كبدي تتصدع ..
وسالت العبرات على خد الأم ، وضمت سهير إلى صدرها في قوة
وراحت تغمغم :

— حبيتي .. كبدي .

وقالت سهير وهي تزفر ذوب نفسها :

— أمي .. ارحميني .

فقال الأم في ضعف :

— قلبي لا يطاوعني .. قولي لي .. إلى أين ستذهبين ؟ ومتى

تعودين ؟

وتحركت سهير صوب الباب وقالت الأم في فزع :

— سهير !

وأحست سهير ما تكابده أمها من خوف وما تحسه من ألم فزاد أساها ،
ولكنها فتحت الباب وانطلقت لتفر من السعير الذي تتلظى فيه ،
وكفكفت الأم دموعها وخرجت تبتمس للمدعوات ، وقلبا يقطر حزنا
وهما وقلقا .

وتصرم النهار ، وأخذ فؤاد يرتدى ثيابه وعمر جالس على حافة السرير
يرقبه ، وصديقان من أصدقاء العمل قد تأنقا وغاص كل منهما في مقعد .
ونفخ فؤاد صدره وهو يربط « البايون » ، فقال له عمر وهو يضحك :

— مالك منفوش الليلة كأنك ذاهب إلى معركة ؟

فقال أحد الصديقين :

— ذاهب لفتح عكا .

وقال الآخر :

— معركة لن تسفر إلا عن جريح واحد .

وقال عمر وهو يضحك :

— وأسير .

وقال الأول :

— معركة عجيبة ، الجريح يأسر القائد ويسخره إلى الأبد .

وظل فؤاد يصغى وهو صامت . وخفت حركاته وأحس مرارة .. كانت أمنيته أن تظل زوجته طاهرة الذيل حتى ليلة الزفاف ، ولكن سخر منه قدره وحطم أمانيه .

وراح عمر يزجى إليه نصائحه ، واشترك الصديقان في النصيح وإن كانا لم يتزوجا بعد . وتظاهر فؤاد بأنه يصغى إليهم وارتسمت على شفثيه بسمه باهته . كان يجاهد أن يخفى أثر ذلك الصوت الساخر الذى كان يرن فى أغواره مرددا « الخروف مذبوح قبل العيد .. الخروف مذبوح قبل العيد » .

وقال أحدهم :

— لو كنت تشرب لساعدك الشرب على رهبة اللقاء .

وقال عمر :

— لى صديق شرب ليلة زفافه وراح يعب حتى كاد يغيب عن الوجود ، وحمله أصحابه ووضعوه فى ذراع العروس ، وما أن دخل غرفة النوم ولمح السرير حتى ارتقى فيه بملابسه ، وغط فى النوم قبل أن ترفع العروس طرحتها .

وقال الأعزب الآخر في ثقة الخبير :

— على الليلة الأولى يبني الكثير .

وانصرف فؤاد ورفاقه في سيارة ، وظل الرفاق يتحدثون عن الليلة المرتقبة . كانوا يجدون متعة في الإسهاب في دقائقها وكان خيال الأعزبين يدهما برؤى مثيرة وفؤاد يتألم ، ويزيد في ألمه اضطرابه لأن يضحك مجاملة .

ووقفت السيارة أمام بيت العريس . وقال قائل :

— العريس .

وانتشر خبر وصوله انتشار الريح ، فإذا بزغاريد تنطلق قبل أن يهبط من السيارة ويضع رجله على الطريق .

وخفت نسوة إلى رأس السلم ينتظرن ، وصعد فؤاد وأصحابه متمهلين ، وقابلهم جلال بالترحيب وقادهم إلى غرفة الاستقبال حيث كان المأذون .

وعقد العقد ، وقام فؤاد ليجلس إلى جوار عروسه ، وراح يشق جموع السيدات والفتيات والغلمان وعيونه تلتفت ، كان يبحث عن سهير ..

وجلس إلى جوار سوسن واستمرت عيناه في بحثهما ، رأى أحلام زوجة عمر ورأى نسوة كثيرات رآهن في الحى ، ولكنه لم ير سهير ، فأحس حزنا ، ولكنه كان أشبه بالحب على سطح كأس من الراح .
وشغل الناس بالناس ، وأخذ جلال عمر ورفيقين وانسلوا إلى سطح الدار وراحوا يشربون ويتقارعون الكؤوس ، ويهذون ويضحكون في غفلة من العيون . جلال يروى مغامراته ، وعمر يقص آخر ما شاهده

وما سمعه في محكمة الجنايات ، والشابان الأعزبان يرويان النكات التي تدور حول الجنس . وانصف الليل وقام العروسان لينصرفا وينفض السامر ، ووضع فؤاد ذراعاه في ذراع سوسن ، وسارا بين الحشود والزغاريد ، وراحا يهبطان في الدرج والأم واقفة عند رأس السلم تنظر من خلال دموعها .

وغص الشارع بالناس والتفوا حول السيارة ، وصعدت سوسن وصعد خلفها فؤاد ، وكانت سهير واقفة تنظر من بعيد ، لم تستطع الفرار ، كانت تحوم حول الدار ، كأنما قوة مغناطيسية تجذبها إليها .

وتقدمت سهير خطوات وخفق قلبها في شدة ، وتفجرت يناييع حزنها وضغطت يد قوية على عنقها ، استشعرت نارا تلهب رأسها وظلت تنظر وهي محمومة ، تدور الأرض بها وتميد تحت قدميها .

ووضعت كفها على فمها المفتوح وهي تبكي ، خشيت أن تند منها صرخة أو يرتفع صوت نشيجها .

وانطلقت السيارة بالعروسين والعيون متعلقة بها ، وراحت سهير تنشج في عصبية وقد تمزق فؤادها ، طعنت طعنة نجلاء مسمومة فسرى الألم الممض في كل كيانها وكادت أن تنهار .

وسارت مطرقة تجر رجليها لتزوى في بيت الأحزان .

أقبلت سوسن وهي ترتدى ثيابا شفافة من النيلون الوردى ما كانت تستر مفاتها ، ووضعت على أكتافها روبا من النيلون زارها فتنة وإغراء ، وكان شعرها متهدلا وعيناها تشعان بريقا يدير الرعوس ويعبث بالأفئدة . وكان فؤاد جالسا في مقعد وثير يرتدى فانلة سبور وبنطلون البيجاما ، ووضع ذراعيه المفتولتين في استرخاء فوق مسند المقعد . واقتربت منه وتحسست عضلاته وقالت وهي تضحك في خبث :

— عضلاتك طريت .

ورفع ذراعه وثناها وشد عضلاته ، وراح يمرر يده الثانية فوقها ويقول في زهو :

— حديد .

ونهب ورفعها بين ذراعيه وقبلها ، فلفت ذراعيها حول عنقه وتعلقت به وراحت تقبله قبلة طويلة ورجلاها تهتران في الهواء في مرح . ووضعها على الأرض في رفق وجلس في المقعد ، فرنت إليه رنوة طويلة ولمعت في رأسها فكرة فابتسمت ابتسامة خفيفة ، وانصرفت وسرعان ما عادت وانسلت من خلفه ووخزته بدبوس كان في يدها .

وتأوه وهب فزعاً فضحكت من كل قلبها ، كانت سعيدة حقا . ومد يده ليقبض عليها ولكنها أفلتت منه وابتعدت ، اتجه إليها وهو يتوعد فهورلت أمامه ، وجرى خلفها وأمسكها وقبض على يدها ولواها في

(م ٦ — المستنقع)

رفق ، وأخذ منها الدبوس ووضع ذراعها تحت إبطه وطفق يبخز ظهره
يهدا وهي تتأوه وتضحك . كانت تحس وخز الإبر دغدغة في روحها .
ومالت عليه وعضته في ظهره فصرخ وترك يدها بجرعة لا إرادية ،
فجرت وهي تنهقه في صوت عال وقد دمعت عيناها ، فأسرع خلفها
ولف شعرها حول يده وراح يجذبه وهي تقصر حتى نامت على الأرض
وهي غارقة في الضحك .

ورن جرس الباب فتركها وأسرع يرتدى الروب فوق الفانلة
وينطلون البيجاما ، وتريث جتى نهضت سوسن وغابت في غرفة
أخرى ثم اتجه إلى الباب وفتحه . ارتفع صوت عمر مجلجلا :

— عاش من شافك ، عشرون يوما وأنت محتبىء .

وقالت أحلام وهي تدخل :

— شهر العسل .

ثم التفتت إلى فؤاد وقالت :

— قلت له إن غير مناسب للزيارة ولكنه أصر على حضورنا .

فقال فؤاد وهو يبتسم :

— مناسب جدا .. أهلا وسهلا .

وقال عمر مداعبا وهو ينظر إليه طويلا :

— والله نظفت .. ايضيت .. بان عليك العز .

ضحك فؤاد وقال وهو يقودهما إلى غرفة الاستقبال :

— تفضلا .

وجلسوا ، وما لبثت أن قدمت سوسن فأسرعت أحلام إليها تعانقها ،

وصافحها عمر وهو يقول :

— عيني على زوجك باردة ، امتلاً .. معلوم أكل نظيف .
والتفت إلى فؤاد وقال :

— الله يرحم أيام السجق .

وخرجت سوسن ثم عادت تحمل صينية عليها أكواب بها شراب
أحمر .

وتناول عمر كوبا والتفت إلى فؤاد وقال :

— أين فضيتك ؟

وضحكت سوسن وضحك فؤاد وعمر ، وعجبت أحلام
لضحكهم .

وقالت سوسن :

— ألا تعرفين فضية العزاب ؟

— أبدا .

— إنها علب الأناناس والتفاح والمشمش الفارغة .

فقالت أحلام وهي تضحك :

— لم يكن لي شرف استعمالها .

وقالت سوسن وهي ترنو إلى فؤاد رنوة ذات مغزى :

— ولأنا .

وتقاصرت نفس فؤاد وتحركت في جوفه أبحرة من الحزن ، وأراد أن

يفر من هذا الحديث فقال لعمر :

— انتظرت في الصباح في المكتب ، كنت أظن أنك ستمر على .

فقال عمر في دهش :

— لم أدر أنك ذهبت إلى العمل .

وقالت سوسن في عتاب :

— ذهب إلى المكتب من صباح يوم وتركني وحدي .

فقالت أحلام وهي تبتسم :

— الليل طويل .

وقال عمر :

— ذهبت اليوم إلى محكمة الجنايات ، كانت تنظر قضية طريفة :

قضية زوج عاد إلى بيته فجأة ودخل غرفة النوم فأحس وجود رجل تحت السرير . خشى إن فاجأ الرجل أن يكون معه سلاح فيضربه به في لحظة من لحظات اليأس ، فرأى أن يهدئ روع الرجل وأن يجعله يركن إلى الاطمئنان ثم يعمل بعدها .

طلب الزوج من صديق الزوجة أن يخرج من مخبئه ولا داعي للشجار والفضائح ، وخرج الرجل فقاده الزوج إلى غرفة أخرى وجعل يحادثه ويرجوه أن يستر عرضه وألا يتحدث عما حدث مع أى إنسان بعد أن ينصرف في أمان . وأفرخ روع الرجل وتأهب لينجو بنفسه ، وفجأة انقض عليه الزوج وخنقه بيده ولم يتركه إلا جثة هامدة .

وقالت أحلام في ثورة :

— أخطأ الزوج .

وقالت سوسن مؤيدة :

— نعم أخطأ الزوج .

وقال عمر وقد اتسعت عيناه :

— وماذا كان يفعل ؟

قالت أحلام في اقتناع :

— كان ينبغي عليه أن يقتل الزوجة .

فقالت سوسن في إنكار :

— يقتل الزوجة ؟ هذه قسوة .. هذه وحشية .

وقالت أحلام في بساطة :

— كان جدى يقول : لولا الكلبة ما دخل الكلاب البيت . اقتل

الكلبة ينفض الكلاب عن دارك .

وقال فؤاد :

— أنا أؤيد جدك .

وقالت سوسن في إشفاق :

— دعونا من هذا الحديث ، إني أمقت حكايات القتل والموت ،

لا نزال شبابا فلنستمع بشبابنا .

وفتحت أحلام حقيبة يدها وأخرجت زجاجة صغيرة من « الأريج »

وقربتها من أنفها ، ولحمتها سوسن فمدت يدها وتناولت الزجاجة وقربتها

من أنفها وقالت :

— رائحة .

كانت سوسن تنتظر أن تقول لها : « تفضلي » فتقول « متشكرة » ثم

تدسها في صدرها ، ولكن أحلام قالت :

— جاءتنى هدية من أخى في عيد ميلادى .

ومدت يدها وأخذت الزجاجة وأعادتها إلى مكانها في الحقيبة ،

وسوسن ترنو إليها حانقة كأنما سلبتها حقا من حقوقها .

واعتدلت أحلام وقالت :

— كيف حال سهير ؟

قالت سوسن في هدوء :

— كانت هنا بالأمس .

وارتبك فؤاد ونظر إلى سوسن في دهش ، أذهله أنها تكذب في يسر دون أن تتلجلج ، فما جاءت سهير وما وقعت عليها عيونهم بعد الزواج .
وقالت أحلام :

— أحببتها منذ وقعت عليها عيناي ، لا بد أن أزورها يوما .

وانفلقت بذرة الكراهية لأحلام التي ألقيت في نفس سوسن ، وراحت أحلام ترويها لتتبت المقت والبغضاء . واربد وجه فؤاد ، وفطن عمر إلى ما اعتراه فتلفت متأهبا ليغير هذا الحديث ، فوقعت عيناه على ورقة كتب عليها بعض أرقام ، فأخذها وقال وهو ينظر إلى فؤاد وإلى سوسن في خبث مبالغ فيه :

— ماذا تسجلان ؟ ما كل هذه الأرقام ؟

فقالت سوسن وهي تضحك في دلال :

— أبدا والله .

وحزرت أحلام ما يرمى إليه زوجها فضحكت وهي ترنو إليه في

خبث ، وقال فؤاد :

— نتسلى أحيانا بلعب الدومينو .

وقال عمر وهو يضحك :

— هذه أعجب تسلية في شهر العسل .

وقال فؤاد في سداجة :

— وما العجيب فيها ؟

فقال عمر وهو ينظر إلى زوجته :

— في شهر العسل كنا نحن أنفسنا تسلية .
واختلست سوسن نظرة مقبئة إلى أحلام وقالت :
— ما رأيكم في عشرة دومينو ؟
ولم تنتظر الجواب بل نهضت تعد نضدا ووضعت حوله أربعة
كراسي ، ثم جاءت بالدومينو وورقة بيضاء وقالت :
— هيا ، أنا وعمر ، وفؤاد وأحلام .
وقاموا إلى النضد ، وجلست سوسن قبالة عمر وجلست أحلام أمام
فؤاد ، وبدأ اللعب وحمي . وقال عمر وهو يضرب المنضدة بحجر في قوة
ويقول لسوسن :
— اكتبى لنا ثلاثة .
وتلفتت تبحث عن قلم ، فأخرج عمر قلمه « الشيفرز » وقدمه إليها
فكتبت به وقلبه في يدها وقالت :
— قلم عظيم .
فقال عمر دون تفكير :
— تفضلى .
فقال سوسن في ابتهاج :
— متشكرة .
ورمتها أحلام بنظرة استنكارية ووزارة ، وأحست سوسن وقع نظرتها
فراحت شجرة الكراهية تنمو في نفسها .
واستمر اللعب وخفت صوت عمر ولم تنبس سوسن بكلمة ،
وراقت أحلام تضحك في مرح .. كانت منتصرة .

وراحت شجرة الكراهية تنمو وتتضخم في جوف سوسن ،
وما انتهت الزيارة حتى كانت سوسن تمنى أن تسلب أحلام أعز ما تملك
وأن تراها تتلوى من الألم .

١٤

راحت سهير تفكر في هدوء .. إنها تحب فؤاد حبا جارفا ، تهواه من
كل قلبها ، ولكن ذلك الحب لم يعد حقا لها بعد أن أصبح فؤاد زوجها
لأختها . عليها أن تطوى ذلك الحب ، أن تقبره كما تقبر الأم فلذة كبدها
الذى مات .

لن يجدى الحزن ولا العويل ولا الاستسلام للأوهام ، فإذا كان قلبها
تصدع ، وإذا كانت نفسها ذلت ، وإذا كان كبرياؤها جرح ، فعليها أن
تجاهد لترأب الصدع وترفع الرأس وتأسو الجراح .

وسوسن .. إنها غدرت بها ، سلبتها حبا وألقها بيدها في جحيم
العذاب ، ومع ذلك لا تستطيع أن تطوى قلبها على مقتها .. إنها أختها
وستصفح عنها وتنسى مافات .

وأرادت نفسها أن تثور على عقلها ، وأن تؤجج بين جنباتها نار الثورة
وأن تحرك البغضاء ، فأصمت أذنيها عن وسوساتها ، فقد وطنت العزم
على أن تنأى بنفسها عن انفصالات الحقد والمقت والغيرة التي لا تجنى منها
إلا الضنى والعذاب .

ستنكر ذاتها وتضحى برغباتها ، وستعاون سوسن وفؤاد على أن يعيشا
سعيدين إن كان مد يد المساعدة لتحقيق ذلك في استطاعتها ، ففى

التضحية وقهر النفس لذة قد تفوق كثيرا اللذات التي تشبع .
إن الانفعالات خارجة عن إرادتها ، ولكن عليها ألا تستسلم لها
وألّا تترك لها نفسها تفعل بها ما تشاء .. ستقاومها ، وستقضى على
العواصف والأعاصير التي تزجر في أغوارها المظلمة .
وارتفع صوت الأب ينادى :

— سهير .. سهير .

فقالت وهي تسرع إليه :

— حاضر .. يا بابا .

وانطلقت إليه هادئة وقد برأ وجهها من الانفعالات والغضب .
ونظرت إليها أمها وهي راضية قريرة العين ، وقد بدأت تعتقد أن جلالا
أكثر منها تجربة ، وأنه كان على صواب عندما قال إن الحب قبل الزواج إن
هو إلا عبث صبياني . فما أسرع أن نسيت سهير حبا ..
وسارت الأم خلف ابنتها ، ورأت جلالا يقدم إلى سهير الكرافطة
والمنديل ويطلب منها كيها وهو واقف يتأنق ويصلح الورد في عروة
جاكته ويتضمنح بالخطور .

فلما خرجت سهير قالت الأم لزوجها في ريبة :

— ماذا وراءك يا ترى ؟

فالتفت خلفه في خبث وقال :

— حائط وسرير .

فقالت في صوت ينم عن غيرة :

— أقصد لمن كل هذه الزينة ؟

فقال وهو يبتسم :

— تقصدين ماذا أمامي ، أمامي سكة سفر .

— أمسافر أنت ؟

فقال في خبث :

— مسافر إلى القمر بلا صاروخ .

وقهقهه . كان يجد راحة في سرد مغامراته ولو آلم ذلك زوجته ، وكان يعدل بينهما في هجرهما والجرى وراء شهواته ، وفي سخريته القاسية التي كانت تدمى روجيهما وتشرح صدره . قالت الأم :

— كأنك ذاهب لتتزوج .

فقال في بساطة :

— زواج بلا عقد ولا شهود ولا التزامات وغير مقيد بزمن .

فقالت في غيظ :

— يا فاجر استح ، ستصبح جدا .

— وهل كل الجدود ماتوا ؟ كلما كبر الرجل ازداد تجربة وفنا .

ودنا منها مداعبا وقال :

— الدهن في العتاقى .

وبعدت عنه . وهمس في نفسه هامس : كذاب .. السحر في

البرابر ..

وقهقهه واهتز كرشه في حركة تموجية من أعلى إلى أسفل . ودق جرس الباب فأسرعت الأم تفتحه ، وراح جلال يتم زينته .

ومس أذنيه صوت نسوى رقيق فأخذ يتشمم بأنفه ويدلك صدره بكفيه في راحة ، وأخذ يغلدو ويروح في الغرفة . ولم يستطع أن يصبر وعلى بعد خطوات منه أنثى فخرج إلى حيث كانت زوجته والضييفة .

ووقعت عيناه على أحلام .. كانت جذابة يزيد في جمالها سحر الشباب .. فنظر إليها كالذئب إذا اشتبهى فريسة طرية ، وتقدم منها وهو يبتسم وقال :

— أهلا .. أهلا .

ونهمزت أحلام وقدمت له يدها ، فتناولها في يده وجعل يربت على ظهر كفها بيده الأخرى في حنان وهو يقول :

— تشرفنا ! خطوة عزيزة .. تفضلي .

وجلست وجلس ، وأقبلت سهير فقامت أحلام إليها وقبلتها وصافحتها في ود صادق ، وأحست سهير صدق عواطفها فاستشعرت راحة ، وجعل جلال يرنو إلى أحلام وهو يتمنى لو كان في مكان ابنته .

والتفتت سهير إلى أبيها وقالت :

— الكرافطة والمنديل في غرفتك .

فنهض جلال واستأذن وذهب إلى غرفته يتم تأنقه ، ولولا أنه منطلق للقاء غانية شابة لجلس إلى جوار أحلام ينعم بالإصغاء إليها ومداعبتها .

ودخل جلال مرة أخرى يلقي على أحلام نظرة ، واستأذن وانصرف يدندن أغنية عاطفية وهو نشوان .

وراحت الأم وأحلام وسهير يتجاذبان أطراف أحاديث عابرة ، ثم نظرت أحلام إلى ساعتها وقالت :

— مارأيك ياسهير في أن نذهب معا الليلة إلى السينما ؟

وترددت سهير قليلا وقالت الأم :

— فكرة طيبة .. قومي ياسهير .

وذهبت سهير تتأهب للخروج .. ثم انطلقت أحلام وسهير والأم
ترقبهما مغتبطة ، فقد برأت نفس ابنتها وذهبت إلى السينا .
كانت أحلام تهدف إلى إتاحة الفرصة لسهير لتحدث .. لتنفس عن
عواطفها المكبوتة .. لترفع عن كاهلها أثقال الهموم التي تحملها وحدها .
وكانت متأهبة لمشاركتها في حمل همومها ، ولأن تمسح بعطفها آثار الحزن
الثقيل الذي أنقض ظهرها .

قالت أحلام :

— هل زرت سوسن ؟

فقالت سهير في صوت خافت :

— لا والله .. ولكنني عازمة على أن أزورها غدا أو بعد غد .

وصمتت سهير ، فقالت أحلام :

— كلنا له قصة . وكان علينا أن ننسى .. فجاهدنا حتى نسينا وسعدنا

بحياتنا الجديدة . لا بد أن ننسى ما فات .

فقالت سهير في عزم :

— سأنسى .

وقالت أحلام في إشفاق :

— ولكن قصتك تختلف عن كل قصصنا .. هجرنا من نحب

وتزوجنا ، وساعدنا على النسيان بعد الحبيب . أما أنت فإن من خفق بحبه

قلبك سيكون دواما بقربك يجدد الأشجان ويؤجج نار الهوى .

فقالت سهير وفي صوتها أسى :

— لم يعد لحيي مكان .. أصبح بلا أمل . إنني لن أجاهد لأنسى فهذا

محال . ولكنني سأجاهد لأحول حيي من مجراه إلى مجرى آخر .

سأحول حبي الدافق إلى صداقة عاقلة أغمر بها سوسن وفؤاد .
وساد الصمت بينهما برهة ، ثم قالت سهير وفي عينها بريق :
— لم يعد لي ما أرجوه إلا أن تسعده سوسن .

١٥

كانت سوسن تعيد تنسيق ملابس زوجها في الصوان ، ووجدت بين
الثياب صورة فأخرجتها وتطلعت إليها فإربد وجهها وخفق قلبها واستولى
الحنق عليها : كانت صورته مع سهير .

وتطلعت إلى سهير برهة فاستشعرت عقارب الغيرة تلسعها ، فإنها
خطر دائم جاثم أمام عينها .. إنها سيف مسلط على رقبتها .. إنها .. إنها
غريمتها .

وتدسست إلى رأسها فكرة أن سهير قد تسلبه منها يوما ، فتحرك
المقت الأصفر يلون كل إحساساتها ، وانفجر في أعماقها مرجل غضبها .
كانت تبغض أشد البغض فكرة أن يسلبها أحد شيئا وإن كانت تمتلئ رضا
إذا ما سلبت الناس أشياءهم .

وراحت تغدو وتروح في الشقة نائرة . ودنت من فؤاد أكثر من مرة
وكانت تهتم أن تثور في وجهه وأن تتهمه بأنه لا يزال يحب سهير ، وأن تلقى
بالصوزة التي يخفيها بين طيات ثيابه كالطلبة العاشقين أرضا ، وأن تدوس
عليها بأقدامها ، ولكنها كانت تكبت رغبتها وتبذل جهدا عنيفا في ترويض
نفسها المزججة .

كان فؤاد يقرأ في كتاب فوقفت تنظر إليه برهة ، ثم تقدمت منه وانتزعت الكتاب من يده وقالت :

— قراءة .. قراءة ، لقد ضقت بهذا الكتاب الذى سلبك منى .

وابتسم ابتسامة مغتصبة وقام إليها يداعبها ، ولكنها تركته وذهبت تنسق ثيابها . وشرد فؤاد يفكر .. خرج بالأمس وقابل صديقا وعاد قبل العاشرة مساء فإذا بها تقابله وقد زوت ما بين حاجبيها وتهمه بأنه لم يعد يهتم بها ، ثم تنفجر باكية وتنطلق إلى غرفتها وتغلق بابها عليها . وجلس اليوم يقرأ فضاقت بقراءته ذرعا وانتزعت الكتاب منه .. وباليتها بقيت معه بل غادرته وانصرفت .

وأتأمل فى مقعده ، ضايقه أنه بدأ يحس أن حريره تسلب وأنه يكبل برغبات سوسن . وفكر فى أن يثور قبل أن يستفحل الأمر وأن يعمل بنصائح أصدقائه ، فلا يخفل بيكائها إذا بكت ، ولا يابه باعتراضاتها إذا اعترضت ، وأن يستمر يسعد بحياته دون أن يلتفت لتفاهاتها ، ولكن قلبه لا يطاوعه .

دق جرس الباب فعادت سوسن إلى حيث يجلس فؤاد وهى تقول فى ضيق :

— ترى من هذا الذى يأتى فى هذه الساعة من الليل ؟

فقال فؤاد :

— لم يبدأ الليل بعد .. الساعة السابعة .

ونظرت إليه فى إنكار فقد ساءها أن يعترض على ما قالت ، وذهبت إلى الباب وفتحته .

رأت سهير أمامها فابتسمت وإن دق قلبها وسقطت أحشاؤها وسرت
فيها رعدة ، ومدت سهير يدها وقالت في هدوء :
— مبارك .

وأحست سوسن كأن خنجرا طعن فؤادها فاضطربت ، وأرادت أن
تخفي اضطرابها فلفت ذراعها حول أختها وقالت :
— أهلا سهير . كيف أنت ؟ لم أرك من مدة . ألم أوحشك يا خائنة ؟
وسرى في جوف سهير أسى ، انفعلت لما سمعت « يا خائنة » ولكنها
راحت تقضى على مشاعر الحزن التي أرادت أن تندفق وقالت :
— كنت أنتظر أن يحين الوقت المناسب للزيارة .

— وهل لم يحن قبل الليلة ؟
فقال سهير مداعبة :

— لا يجوز زيارة العروس قبل انقضاء شهر العسل .

وكلفها ذلك جهدا فصمتت لتسترد أنفاسها التي بهرت .. ومس
صوت سهير أذن فؤاد فارتبك ووقف حائرا وخفق قلبه في شدة ، وفغر
فاه وبان في وجهه أى الانفعال وراح يفكر فيما يفعل وفيما يقول فألقى
رأسه خواء .

وأصبح أمامها وجهها لوجه ، ومدت يدها تصافحه فمد يده وهو
منفعل ، وقالت وعيناها ثابتتان :
— مبارك .

فقال في صوت متهدج خافت :
— الله يبارك فيك .

وجلس ثلاثتهم والانفعالات تدوى في أعماقهم وإن كانوا يجاهدون أن يبدوا هادئين . كانت سوسن تعجب من ذلك القلق الذى يلفها ، باتت تخشى سهير وما كانت تخشى أحدا ، إنها تخشاهم لأنها لم تعد تملك ما يؤخذ بينها هي أصبح فى يدها ما يسلب ، وإن موتها أهون عليها من أن تهزم . وكانت سهير تقاسى من لسع النار التى تسرى فى أحشائها ، ومن عواطف الحب الموعود الذى كتب عليه أن يعيش فى كهوف ذاتها ، يرهقها ويعذب روحها .

وكانت نوازع نفس فؤاد متضاربة متعارضة ، كان يحس تضائلا وهوانا وخزيا وأسى وحزنا .. وحبا . انقباض وانشراح .. وكدر وفرح .. ومشاعر كثيرة معقدة يحسها يعجز عن أن يميزها ! وظل مدة ينظر دون أن يرى ويشرد دون أن يفكر ، كان يعيش فى شبه غيبوبة .

وقالت سوسن وعلى شفيتها بسمه حائرة :

— كيف حال ماما ؟

— بخير ، إنها تترقب حضوركم .

وقال فؤاد :

— وكيف حال بابا ؟

فقالت سهير وهى تبسم :

— على حاله .

وابتسم فؤاد ، وبدأ التوتر ينقشع ، وقالت سهير :

— مرت على أحلام هاتم من مدة ، وذهبنا معا إلى السينما ، إنها سيده فاضلة قلبها من ذهب .

وقال فؤاد فى حماسة :

— زوجها إنسان ، إنه أنبل أصدقائي .
واقترب فؤاد من سهير وطفقا يتحدثان ، وسوسن ترنو إليهما في غيظ
وقد تحركت غيرتها .

وقامت سوسن وأحضرت علبة شيكولاتة وعادت سريعا ، خافت إن
تأخرت في إعداد ما تقدمه لأختها أن يدور بينهما ما تخشى . وقدمت العلبة
إلى سهير فتناولت قطعة ، وتناول فؤاد قطعة ، وأخذت سوسن قطعة
ووضعت العلبة على نضد أمامها .

وراح فؤاد يفيض الغلاف المفضض في حرص ويخرج قضاصة الورق
الشفافة المطبوع فيها بخته ، ونشرها وقرأ : « الحلم سيد الأخلاق » .
ونشرت سهير الورقة الشفافة وقرأت ما فيها وهي صامته ، فقال فؤاد
وهو يأخذ منها الورقة :
— ماذا كان بختك ؟

وخفق قلب سهير وبانت في عينها حيرة . وقرأ فؤاد : « الصبر
طيب » .

وساد السكون برهة ، ولمح فؤاد سوسن وهي تطوى الورقة وتفرکہا
بيدها فقال لها :

— ماذا جاء بختك ؟

— كلام فارغ . هذا عبث أطفال .

ومد فؤاد يده ليأخذ الورقة التي كورت وضغطت . ولكن يد سوسن
كانت أسرع منه إليها وراحت تمزقها إربا ، كان مكتوبا فيها : « الحسود
لا يسود » وما كانت تحب أن يكون هذا بختها وإن كان عبث أطفال .
(٧ م — المستنقع)

ودارت كئوس الحديث بينهم مرة أخرى ، ووجد فؤاد وسهير في الحديث راحة نفسية ومنتعة روحية ، بينما فاض كأس سوسن بالخوف والقلق والغيرة .

وقامت سهير مستأذنة ، وخفق قلب سوسن حتى كاد يفر من فيها .. وسوس لها وهما أن فؤاد سيذهب لتوصيلها ، ولكن فؤاد صافح سهير وقال :

— مع السلامة ! تحياتي لماما وبابا .

ولم تهدأ نفس سوسن .. راحت تجزم لنفسها إنها أحست يد فؤاد وهي تضغط على يد سهير .

وانصرفت سهير ، وعاد فؤاد إلى غرفة النوم وسوسن خلفه . كانت متوترة الأعصاب تمور في أعماقها الغيرة وتخزها إبر الشك . ولم تستطع أن تكتم عوظفها فقالت وهي تنظر إلى فؤاد في تحد :

— خانتك عينك . قرأت فيهما كل شيء . إنك لا تزال تحبها .

فقال فؤاد في فزع :

— سوسن !

واندفعت تفح كالأفعى :

— ماذا قلت لها لما خرجت وتركتكما وحدكما ؟

فقال فؤاد في إنكار وهو يتألم :

— سوسن !

ودنت منه وقالت وهي تمد رأسها :

— تواعدتما على أن تلتقيا وراء ظهري .

فتار فؤاد ورفع يده ولطمها لكمة قوية ، ودفعها في شدة فإذا بها تنسقط على الأرض .

فزع فؤاد ولم يدر كيف فعل ذلك .. وأطرق نادما وقد انبثق في روحه القلق والحزن والحنان . واجتازته رعدة فوقف يشهق ويزفر في صوت مسموع وصدرة يعلو وينخفض .

وراحت سوسن تمرر يدها على خدها ، ثم زحفت فتعلقت بساقه ، ونهضت حتى إذا ما بلغت الكف التي لطمتها راحت تقبلها ، واستوت واقفة وقبلت فؤاد قبله حارة وهي متعلقة به وراحت تدفعه في رفق حتى وصلت إلى زر الكهرباء وأدارته فساد الغرفة ظلام .

وخيم السكون ، ولم يكن يشقه إلا غمغمتها ونشيجها .. كان نشيجا ينطلق ليفسح في الصدر لمشاعر الطمأنينة والراحة .

١٦

تململ فؤاد في جلسته ، ثم نهض وأخذ يغدو ويروح في ضيق . كان مرتديا بذلته ، وكان ينتظر سوسن حتى تتم زيتها . ونادى وقد نفذ صبره :

— هيا يا سوسن .

وإذا بصوت سوسن يقدم من غرفة النوم :

— لو أنصفت لذهبت وحدك .

— كيف أذهب وحدى وقد أخبرت عمر أننا سنمضي السهرة

عندهما ؟ سيفضب عمر .

فقلت في استخفاف :

— وماذا يهمنى من غضبه ؟

فقال فؤاد في انفعال :

— إنه صديقى ، ولم يفعل الرجل شيئا حتى نهينه .

قالت سوسن في حقد :

— أصبحت أكره أحلام .

قال فؤاد في دهش :

— وماذا فعلت أحلام ؟

— تتدخل فيما لا يعنها .

وصمت فؤاد وإن راح يصرف أنيابه في غيظ . فظن إلى أن سوسن صارت تكره أحلام لأنها تزور سهير وتواسيها وتحاول أن تكون بلسما لجرح نفسها الذى خلفته سوسن . وهم بأن يقول لها إن أحلام لا تستأهل هذا الكره بل تستحق تقديرها ، ولكنه خشى أن يجرى في أثناء النقاش اسم سهير على لسانه ، فتنشب بينه وبينها معركة من المعارك التى أصبحت طابع البيت ، فلاذ بالصمت ، وطفق يغدو ويروح وهو يضرب كفه بقبضة يده في غضب .

واتجه إلى حيث كانت جالسة أمام المرأة وقال في ضيق :

— بالله هيا .

وراحت تضع الأحر على شفيتها في هدوء قاتل ، وخرج فؤاد من الغرفة وهو يجاهد ليكبت ثورته .

ووقفت سوسن أمام المرأة تديم النظر إلى نفسها في إعجاب ، ثم رمزت بعينها لحياها وابتسمت ، وسارت تهادى .

وانطلقا معا إلى بيت عمر ، وما إن راحا يهبطان في الدرج حتى انقشع غضب فؤاد ، وأخذ يجادل سوسن متوددا .

وبلغا الدار ودخلا إلى حيث كان عمر وأحلام . كان عمر يطالع في صحيفة فنحاها وقام يرحب بالقادمين ، وقال له فؤاد :

— ماذا تقرأ ؟

فقالت أحلام :

— لا يقرأ إلا الحوادث والجرائم ومصائب الناس .

وابتسمت سوسن وهي تنظر إلى أحلام ، وكان مبعث ابتسامها أن أمنية همست في أعماقها تتمنى أن تقرأ في الصحف يوما فضيحة لأحلام . وقال عمر وهو يتسّم :

— كنت أقرأ حادثة غريبة : دخل رجل دار السينما في الظلام ، وجاء مكانه إلى جوار سيدة فراح يداعب قدمها بقدمه ، فاستكانت له .. ومد يده ووضعها في يدها فلم تسحب يدها .. ومال عليها يهمس ويواعدها على اللقاء بعد انتهاء العرض فقبلت دعوته ، ثم أضيئت الأنوار ونظر الرجل إلى جارته .. فإذا بها زوجته .

فقال فؤاد في إنكار :

— لا . هذه مصادفة يتعذر وقوعها .

— ولكنها وقعت .

فقال فؤاد :

— إنها ليست مصادفة واحدة ، إنها سلسلة من المصادفات : يذهب الرجل في يوم ما إلى السينما وتذهب الزوجة في نفس اليوم إلى السينما .. ويدخل سينما بالذات تدخلها زوجته .. ويختار مقعدا من مئات المقاعد

فلا يقع اختياره إلا على المقعد المجاور لزوجته .. إننى لأصدق أن كل هذه المصادفات تحدث دفعة واحدة .

قال عمر :

— هذا هو القدر .

فقالت سوسن :

— هذا قدر قاس .

وقال فؤاد فى اقتناع :

— يخيل لى أن هذه الحوادث من بنات أفكار المحررين .

فقال عمر مدافعا :

— أبدا ، هذه الحوادث من خلق الحياة ، لو ذهبت مرة إلى محكمة

الجنايات لتيقنت أن ما يكتب إن هو إلا صورة ميتة لواقع ينبض بالحياة .

فقالت أحلام فى الشمزاز :

— لواقع متعفن .

فقال عمر فى بساطة :

— سواء أكان مشرفا أم متعفنا فهو الواقع .

وتعلمت سوسن فالحديث لا يستهويها وهى لا تستطيع أن تشارك

فيه . وزاد فى ضيقها أنهم شغلوا عنها بنقاش تافه سخيف !

قال عمر وهو يبتسم :

— وقعت حادثة شبيهة بهذه مع بشار بن برد ، أتذكرها ؟

فقال فؤاد :

— لا . قل .

قال عمر وهو يبتسم ابتسامة خبيثة :

— المقام غير مناسب لروايتها .

فقالت أحلام وهي تنهض :

— أتريد أن ننصرف :

قال فؤاد :

— عفوا .

وقالت سوسن في جراءة :

— لم نعد طفلتين ، إننا زوجتان .

فقال عمر وهو يضحك :

— إنها مذكورة في كتب الأدب .. كان بشار ماجنا وكان يفخر

بمجنونه ، وأراد بعض أصحابه أن يسخروا منه فقالوا له إنهم قد جاءوه

بامرأة رائعة تعبد عبادته ، وقد برحها الوجد والهيام وأخذوا بشارا من يده

وقادوه إليها .. كان أعمى .. وجلس بشار يداعب المتبلمة به ويتودد إليها

ويصب في أذنيها أرق عبارات الغزل ، وأمضى معها ساعات مترعة

باللذة ، وبعدها كشفت المرأة عن شخصيتها .. كانت امرأته ، فقال لها

بشار : « ما أطيبك حراما وأبغضك حلالا » .

وقهقه عمر وابتسمت أحلام ، وتبادل فؤاد وسوسن نظرات خاطفة

ولاحت في وجه فؤاد مسحة من الأسى ، وبان في عيني سوسن غيظ

شديد . وفطن عمر إلى عدم الارتياح الذي بدا في وجه فؤاد وسوسن

فطن أن ما قصه خدش حياءهما . فقال معتذرا :

— آسف ، قلت لكما إن المقام غير مناسب لروايتها .

وصنمت قليلا ثم قال ليبرر خطأه :

— ولكنها مدونة في كتب الأدب .

وعجبت أحلام لذلك القلق البادى على الزوجين ، فما قاله عمر
لا يחדش الناموس . وفطن فؤاد إلى أن سهومه أقلق صديقه وزوجته ،
فقال وهو يضحك :

— بسيطة .. فى كتب الأدب ألعن منها .

وانقشع التوتر الذى ران لحظات على جو الجلسة ، وراحوا يتجادبون
أطراف الحديث .

وقال عمر فجأة :

— مارأيكم فى أن نذهب غدا إلى كبريتاج ؟

وقال فؤاد فى حماسة :

— فكرة رائعة .

وقالت أحلام وهى جالسة على حرف مقعدها :

— وعندى فكرة رائعة أخرى .

قال عمر وفؤاد :

— ماذا ؟

— أن نأخذ سهير معنا .

اضطربت سوسن فى شدة وخفق قلبها وافتها رهبة . ولم تستطع أن

تكبح زمام عواطفها فقالت :

— لا أظن أن سهير تقبل .

ولم ينس فؤاد بكلمة ، وقال عمر :

— أحلام تستطيع أن تقنعها .

وقالت أحلام فى مرح :

— غدا صباحا نمر عليكما ومعنا سهير .

وجف حلق سوسن وتحركت غيرتها وامتلاأت حنقا ، وفي أثناء ثورة نفسها العارمة ألقىت في روحها بذرة فكرة : أن تحرم فؤاد من صديقه ، وأن تسلب أحلام زوجها .

١٧

راحت سوسن تضع « السندوتش » في الحقيبة الصغيرة التي وضعت فيها مايوهين وفوطتين وبعض أدوات بسيطة، وكان فؤاد يرقبها وهو يغدو ويروح ودنا منها يداعبها فطبعته على خده قبله تركت أثرا واضحا من الأحمر ورأت أثر شفيتها على خده فابتسمت في خبث ولم تنبس بكلمة . وارتفع صوت كلاكسون متصلا ، كأنه ينادى أحدا ، ولم يتحرك فؤاد فما كان ينتظر أن يقدم عمر في سيارة . واستمر الصوت في ندائه فذهب فؤاد إلى الشباك ونظر فألفى عمر وأحلام وسهير في سيارة مكشوفة . فأشاز لهم بيده ثم عاد إلى زوجته وقال :

— هيا .. لقد جاعوا .

وانطلقا مسرعين ، واختلست سوسن نظرة إلى الأحمر الذي خلفته في خده فانشرحت ، ستره سهير وسيعلنها أن زوجها يجبها ، وسيقضى على آخر أمل لها إذا كان لا يزال هناك أمل ينبض بين جنباتها . ووصلا إلى السيارة المكشوفة ، وبدأت التحيات ، وإذا بعمر ينفجر ضاحكا ويقول مداعبا :

— اعقل يا رجل ، أهكذا على الريق ؟!
واتسعت عينا فؤاد في دهش وقال :

— ماذا ؟

قال عمر وهو يدفعه في رفق :

— امسح خدك .

ودنت سوسن منه وأخرجت مندبلا صغيرا وراحت تمسح الأحمر من
خده في حنان . ونظرت سهير فاضطربت وغضت من بصرها ،
وتحركت عقارب الغيرة في جوفها على الرغم منها ولم تقو على كبحها .
وزكبت سوسن إلى جوار سهير وهي تبتسم ، ولفت ذراعها حول
أختها تضمها إليها . لم تكن ضمة حنان ، كان فيها شيء من قسوة .
وجلس فؤاد إلى جوار زوجته وهو يقول لعمر :

— من أين لك هذا ؟

قال عمر وهو يبتسم :

— الشحاذ له نصف الدنيا .

ودارت السيارة وانطلقت ، وراح عمر يتم حديثه قال :
— لي صديق يملك سيارتين ، أخذ منه هذه السيارة كلما احتجت
إليها .

قال فؤاد وهو يلوى شفته السفلى :

— هذا هو الحال منذ الأزل ..

وراح يرتل : « إن أخى هذا له تسع وتسعون نعجة ، ولي نعجة
واحدة » .

والتفت أحلام إلى سوسن وضحكت ، والتفت عمر إليها
وضحك . حتى سهير ابتسمت ، وفطن فؤاد إلى ما اضحكهما فمرريده
على قرنيه وقال :

— يافتاح يعلم .

واستمر الصحاب يتسامرون طوال الطريق ويضحكون وسهير صامته ، أحسنت أنها غريبة ، وضاق صدرها وندمت على أنها استجابت لدعوة أحلام .

وبلغوا حلوان ووقفت السيارة أمام الحمام ، وهبطوا مرجين ، وكانت سوسن أكثرهم مرحا فقد قرأت القهر في وجه سهير .
وقال عمر :

— أرى أن نستحم أولاً قبل أن تحمى الشمس ، ثم نجلس نتسامر .
فقال فؤاد وهو يهز الحقيبة التي في يده :

— نجلس لتأكل ، هنا سندويتشات .

ودخل عمر وأحلام كابينه ، ووقف فؤاد أمام كابينه وقال لسهير :
— تفضلي أنت وسوسن ، وسأنتظر هنا .
فقالت سهير وهي تبتسم ابتسامة باهتة :

— متشكرة .. إننى لا أنزل إلى الماء . أفضل أن أجلس في الشمس .
وقالت سوسن وهي تضحك :

— إنها تخشى الماء .

وصممت سهير ولم تقل شيئاً وإن كانت سوسن تكذب فهي تعلم أنها لا تهاب الماء ، وأنها كانت تسبقها في السباحة . ولكنها صارت تحجل أن تتعري أمام الناس بعد أن كبرت .

وذهب فؤاد مع سهير إلى نضد في وسطه فتحة مستديرة ثبتت فيها مظلة كبيرة مخططة ، وسحب كرسيًا تحت المظلة وقال :

— تفضلي .

ووقفت سوسن ترقبهما لا تجرؤ على الدخول إلى الكابينة خشية أن يفوتها شيء مما يدور بينهما ، وجلست سهير ، وعاد فؤاد وغاب هو وسوسن في الكابينة وسهير تتلفت في قلق ، وبان في وجهها أسى عميق وفاضت شجونها ففرت من عينها دمعة .

وخرج عمر وأحلام ، وخرجت سوسن وفؤاد ، وكانت سوسن ترتدى مايوها ضيقا ملتصقا بجسمها فأبرز مفاتها في إغراء ، ونظر إليها عمر نظرة سريعة و غرض من بصره ليخفى بريق الإعجاب . ووقف فؤاد مرتبكا ، كان يستشعر غيرة وراحة دماؤه تتدفق حارة في عروقه ، ولو طاوع نفسه لأسرع يغطي جسم زوجته .

واندفعوا إلى الماء وألقوا بأنفسهم فيه ، ووقف فؤاد بجسمه الرياضي البديع في الحوض والماء لا يكاد يصل إلى وسطه ، وراح يطول ويقصر . ووقفت أحلام بالقرب منه تستحم بينا راحت سوسن تشق الماء شقا وعمر في أثرها .

ودارت سوسن دورة ، وعامت تحت الماء حتى إذا وصلت إلى عمر جذبته من رجله ، وغطس عمر تحت الماء وغابا برهة استشعر فؤاد خلالها ضيقا وغيظا وكاد صدره ينفجر . وطفت سوسن على سطح الماء وطفأ عمر بعدها ، وراحت سوسن تضرب الماء وتجرفه بكفيها لتفرق به وجه عمر ، فدار عمر بجسمه دورة كاملة وراح يضرب الماء برجله ضربات قوية متتابعة ، فإذا بالماء يرتفع في الهواء ثم يهبط ليرتطم بسوسن ، وفي رشاقة هربت سوسن من قذائف الماء .

ووقف فؤاد وأحلام ينظران ، وقالت أحلام في براءة :

— إنها سباحة ماهرة .



و کانت سوسن ترندی مایوها صیقا منصفا جسمها

ولم ينس فؤاد بكلمة ، كانت نار الغيرة تشوى كبده ، وكانت ثورة نفسه عارمة حتى إنه راح يتقدم دون أن يتحرز أو يفكر في أنه لا يعرف العوم . ودنا من سوسن وألقى عليها نظرة نارية ولكنها لم ترتجف بل راحت تعوم تحت الماء ومررت من بين ساقيه وقرصته في رجله ثم طفت على سطح الماء وهي تضحك .

وراحت سهير تنظر إلى ما يجري أمامها وهي ضيقة به متبرمة ، واستشعرت خجلا لما رأت ما تفعله سوسن ، ولكنها راحت تؤنب نفسها وتتهمها بأنها لا تزال تحقد على أختها ، وحاولت أن ترد روحها إلى طبعها دون جدوى ، كانت تعيش في عذاب .

وخرجت أحلام من الماء وذهبت إلى الكاينة وعادت وقد غطت جسمها بيرنس ، وأسرعت إلى حيث كانت سهير وخرج عمر وفؤاد من الماء وبقيت سوسن تقوم بعرض بعض الألعاب وهي مسرورة منشرحة ، فقد أحست وخز النظرات المصوبة إليها .. كانت نظرات ملتبة تدغدغ حواسها .

وذهب فؤاد إلى المظلة وقد وضع على ظهره فوطة ، وانسل عمر إلى كاينة فؤاد ، وفتح الحقيبة واستولى على بعض سندويتشات ، ثم انطلق إلى حيث يجلس الرفاق .

وقدم إلى سهير وإلى زوجته وإلى فؤاد السندويتش ، وراح يقضم ما في يده في نهم ، والتفت إليه فؤاد وقال :
— من أين لك هذا السندويتش ؟
فقال عمر في هدوء :

— لى صديق جاء بسندويتشات معه وتركها ولم يفكر فى إطعامنا ،
فغافلته وسرقت مايسكت صراخ بطوننا .

وقضم عمر قضمة وقال :

— ألد الأخذ ما سلب .

وضحكت أحلام وابتسمت سهير ابتسامة كلفتها كثيرا ، لاح فى
عينها قلق وغامت صفحة وجهها بسحابة من الكدر ، ودق قلبها فى عنف
وأحست فى حلقها وقدة نار .

وقضم فؤاد السندويتش وهو ساهم ، ونبت فى جوفه قلق ، وزاد فى
قلقه أن قلبه أحس ما فى قلب سهير ، وهمس فى جوفه صوت نادم يقول :
أفدح الأخذ ما سلب .

وخرجت سوسن من الماء ، ووقفت على حافة الحوض تمرر يديها على
جسمها وتثنى لتمررها على ساقها . ونظر فؤاد حوله فى هلع .. كانت
أنظار الرجال مصوبة إليها . وهرع إليها وهو حائق وقدم إليها الفوطة
فأخذتها وجففت بها وجهها وذراعيها ، ثم ألقى بها على كتفيها وسارت
إلى حيث كان الرفاق .

لم تجلس على مقعد بل استلقت على الأرض على وجهها ، وراحت
تتحدث وهى ترفع ساقها وتحركهما فى الهواء . ولم تستقر طويلا على
وضعها بل التوت كأفعى وجلست وضمت ساقها إلى صدرها ووضع
ذقنها على ركبتيها . ومالبت أن نامت على جنبها وهى ترنو إلى عمر
وتحدثه .

وتوترت أعصاب فؤاد وامتأ صدره غيظا . وغامت عيناه بضباب
الغضب ، وراودته فكرة أن يرفع الكرسي ليشج به رأسها

والنفتت أحلام إلى سهير وقالت :
— سأمر عليك يوم الأحد لنذهب إلى السينما .
فقالته سهير في صوت خافت :
— إن شاء الله .
وقالت أحلام وهي تخاطب الجميع :
— مارأيكم في أن نذهب كلنا إلى السينما يوم الأحد ؟
فقالته سوسن وهي تنهض في دلال :
— آسفة . سأذهب يوم الأحد لزيارة جاراتي اللاتي جئن إليّ
لتهنئتي ، لم أزر بعد واحدة منهن .
واحتلست النظر إلى عيني عمر فرأت فيهما بريقا خاطفا ، ولحخته وهو
يجول بعينه في مفاتها ، فانصرفت إلى الكابينة تستشعر نشوة وسعادة ،
فقد تيقنت أن أنبل أصدقاء زوجها يشتها !

١٨

وصل فؤاد إلى البيت وفي جوفه ثورة طاغية ، وفي كيانه تسرى
رعدة ، وفي صدره عقدة تضيقه وتمهر أنفاسه ، وراح يخلع ثيابه وهو
يزفر . وأخذت سوسن تخلع ثيابها وهي هادئة وسيطر الصمت على
المكان .

ولسعت الغيرة روحه فلم يقو على كتمان النار المتلظية في أحشائه ،
فاستدار والنفتت إلى سوسن وقال :
— كدت أشج اليوم رأسك أمام الناس .

فالتفتت إليه دون وجل وقالت :

— لماذا ؟ ماذا فعلت ؟

— كنت أشبه بـ .. بامرأة تعرض جسدها على الملائكة .

— فؤاد !

— كان المايوه فاضحا ، لا يستر منك شيئا .

فقالت في عناد :

— إننى لم أفصله .. اشتريته هكذا .

قال وهو يغدو ويروح كوحش حبيس في قفص :

— تفصد عرق الخجل منى لما خرجت من الماء ، ووقفت تجففين

جسدك بيديك وتنتئين لتبرز فتنتك . كانت كل العيون تلتهمك .

فقالت في غرور :

— وهل هذا ذنبى ؟ وهل كنت أستطيع أن أحول أنظارهم عنى ؟

— لو أنك خرجت إلى الكابينة رأسا كما فعلت أحلام ، لما أكلتك

عيون الذئاب .

— وحتى إذا كنت انطلقت إلى الكابينة رأسا ، ما كنت بمستطاعة أن

أسدل الستائر على عيون الذئاب : هل تفرعنى لأنى جميلة ؟ لنفرض أنهم

التهمونى بعيونهم فماذا أخذوا منى ؟

وضرب فخده بكف يده فى قوة وقال :

— ولن يأخذوا منك شيئا لو شاهدوك عارية !

فقالت وهى تدنو منه :

— إننى كنت مثل الأخريات ، ولكن أوهامك تصور لك أشياء .

— وهل استلقاؤك على بطنك ، واللعب برجليك فى الهواء أوهام ؟!

— وماذا في ذلك ؟

فقال في سخرية :

— لا شيء ، كنت مثالا للاحتشام .

فقالت في انفعال :

— إنني لا أسمح لأحد أن يسخر مني .

قال في ثورة :

— وأنا لا أسمح لأحد أن يعيب بي أمام الناس ، إنني رجل وما يجري في

عروقي دم حار .

— إنني لأعيب بك ولكنها غيرتك العمياء .

— إنها ليست غيرة عمياء ، ولكنها غيرة رجل ، تعرى منك اليوم ما لم

أره من قبل وأنا زوجك ، كان نهبا لكل عين جائعة .

— إنني لم أطلب الذهاب إلى الحمام ، إنها رغبة أصدقائك ، لم أكن

أريد أن أذهب ولكنني أرغمت نفسي على القبول حتى لا تغضب ، وحتى

لا تتهمني بأنني أكره أصدقائك ، أكره من تحبهم .

— إنني لأعاتبك على الذهاب إلى الحمام ، ولكنني عاتب على

سلوكك فيه .

فقالت في انفعال :

— قررت ألا أذهب معك إلى أي مكان ، مادمت لا تثق في نفسك .

فقال في حدة :

— إنني واثق من نفسي ، ولكنني لست واثقا ..

و كبح جماح لسانه واضطرب ، وانقضت عليه كوخش جريح

ولطمته وهي تزجر قائلة :

— ندل .

ولطمها في قوة وهو يقول كأنما يلفظ قلبه :

— سافلة .

وهجمت عليه وأخذت تضرب صدره بقبضتها ، وهو نائر تدور في رأسه فكرة تهشيمها ويستريح من الضنى الشديد الذي يكابده .
وخفت ضرباتها حتى تلاشت ، وألقت رأسها على صدره في راحة ،
ثم أجهشت بالبكاء .

وهدأت عاصفة نفسه ، وانتشرت في جوانبه راحة عجيبة ، وراحت
ينابيع الحنان تتفجر ، واحتواه ضعف حبيب يستكين له .
وفجرت القسوة اللذة في أعماقها السحيقة ، فراحت تغمغم في وله :
— بالله لا تقس علىّ .

ورفع يده وراح يمررها على شعرها الناعم في حنان ، ولو درى حقيقة
مشاعرها للف ذراعيه القويتين حولها وضمها إليه في شدة ، حتى تن
عظامها من الألم .

وقالت في صوت حالم :

— أحبك .. أحبك .

فتفتحت نفسه وانتشت روحه ، وراحت بلابل السعادة تشدو في

ثناياه !..

وأدارت نشوة لذيذة رأسه وقال :

— وما دليل هذا الحب ؟

ورفعت رأسها إليه وضغطت على ذراعيه بيدها في قوة وقالت :

— أريد أن أقبلك ، وأن أظل أقبلك حتى أكنم أنفاسك .

ووقفت على أطراف أصابعها وقبلته قبله خاطفة ، وما كانت تلك
القبلة لتروى الظماً الذى تحسه ، فلفت ذراعها حول عنقه ، وجعلت
تقبله وهى تبكى وتنتحب .

١٩

وقفت سوسن أمام المرآة تتزين ، تضع الأحمر على شفيتها فى مهارة
وتصنف شعرها فى روعة ، وتتضحخ بأفخر ما عندها من عطور ،
وظلت تديم النظر إلى ثوبها ، ثم راحت تفحص خط الجورب النيلون
الخلفى ، حتى أطمأنت إلى استقامته وأنه فى وسط بطنى ساقها تماما ،
وعادت ترنو إلى صدرها الشاخ فى المرآة ، واطمأنت إلى أنوثتها الطاغية
فغمزت لنفسها بعينها ، ثم سارت وكلها فتنة وإغراء .

وانطلقت إلى بيت عمر ، ووقفت ترقبه من بعيد وهى تتطلع إلى
ساعتها بين الفينة والفينة . ورأت أحلام تخرج من البيت مسرعة ،
فابتعدت عن طريقها واختفت . ولما تيقنت أنها ذهبت لتصحب سهير
معها إلى السينما ، تقدمت فى خطو ثابت لتحقيق الفكرة التى عاشت معها
منذ أول ليلة رأت فيها أحلام .

وتريثت أمام باب الشقة وراحت تعيد تنسيق هندامها ، وأخرجت
من حقيبتها زجاجة العطر ، ومسحت غطاءها خلف أذنيها ومررت على
الأخدود الغائر بين نهديها ، وتوجت شفيتها بسمه تعرف طريقها إلى مهج
الرجال .

ووضعت يدها على زر الجرس ، ووقفت ثابتة لا تضطرب ولا تنهت
شيئا وإن كانت تستشعر تلك النشوة التي يحسها المقبل على مغامرة ،
وفتح الباب ، ولما وقعت عينا عمر عليها قال :
— أهلا وسهلا . انفضلي .

ونبت في جوفه قلق خفيف ، وسرى فيه اضطراب وإن ملأت جوانبه
فرحة ، وسار أمامها حتى غرفة الاستقبال .
وجلست ووضعت ساقا على ساق ، وجلس عمر صامتا برهة
لا يدري ماذا يقول ، وأرادت أن تتشله من صمته فقالت :
— أين أحلام ؟

— خرجت لتذهب إلى السينما مع سهير .
فقالت سوسن وهي تضرب جبهتها بكفها :
— كيف نسيت هذا ؟ قالت لنا إنها ذاهبة يوم الأحد إلى السينما مع
سهير !

ذهبت لزيارة جارتي ولكنني وجدت أنهم خرجوا ، قلت لنفسي أزور
أحلام .

فقال عمر :

— أهلا وسهلا .

ونهض والتفت إلى سوسن وقال :

— عن إذنك .

فقالت له وهي تبسم :

— بالله لا تتعب نفسك .

فقال وهو يضحك :

— ليس هناك تعب . سأقدم ما أجده ، وإذا لم أجد شيئا سأقدم
اعتذارى .

وضحكت ضحكة ناعمة رقيقة وقالت :
— اختصر التعب وقدم اعتذارك .

وخرج يبحث عما يقدمه لها . وقامت تتلفت في الغرفة ، ثم خرجت
منها تتبخر ، ولحته وفي يده علبتان فيهما شراب وراح يبحث عن
الفتاحة . فلما وجدها ثقب العلبتين وهم بأن يصب كلا منهما في
كأس .. فقالت :

— انتظر .

وأسرعت إليه ، وتناولت منه العلية وقالت :
— لا داعي لصها في الكأس ، إنى أشتهى أن أشرب في فضية العزاب .
وضحكت وقرعت علبتها في علبته وقالت :
— فى صحتك .

فقال وهو يرنو إليها فى اشتهاى :
— فى صحتك .

وشربت ما فى العلية ، وقال عمر فى اضطراب :
— مارأيك فى كأس ؟ عندى زجاجة .
— لم أشرب بعد .

ونظر إليها من طرف عينه وقال :
— حقا ؟

قالت وهى تسير إلى جواره ليعودا إلى غرفة الاستقبال :
— شربت مرة واحدة .

فقال في إغراء :

— مادمت شربت مرة فلا مانع من أن تشربي مرة أخرى .

فقالت وهي تنظر إليه في دلال :

— إذا أصررت .

وجلست ، وذهب وعاد يحمل صينية عليها زجاجة وكأسان ، فوضعهما على نضد ، وملاً الكأسين ، وقدم إليها كأساً وتناول الأخرى . وعبت الكأس عبا ، وعمر يرمقها ، ووسوس في نفسه صوت يقول :

— قد تكون هذه كأسها الثانية بعد الألف .

قال لها عمر :

— مع من شربت الكأس الأولى ؟

— قد لا تصدق إذا قلت لك . مع أبى .

— أبوك رجل ظريف .

فضحكت وقالت :

— اتفضل .

وضحك عمر وراح يملأ كأسها مرة ثانية .

ورأت اليوم الصور فتناولته وراحت تقلب صفحاته ، ووقفت عند

صورة لعمر وهو صغير ، وقالت وهي تضحك :

— فى عينيك شىء منذ الصغر .

وانتقل عمر إلى جوارها ومال ينظر إلى الصورة ، وقال فى خبث :

— ماذا فى عينى ؟

فقالت فى إغراء :

— شىء يحس ولا يعبر عنه .

وراحت تقلب صور الألبوم وعمر إلى جوارها يملأ غيرها أنفه
فيتحرك الذئب الكامن في نفسه ، وجعل يتطلع إلى ساقها وإلى صدرها
وإلى وجهها فاجتاحته رغبة جامحة .

وفكر في أن ينهض ويبتعد ، ولكنه عجز عن تنفيذ الفكرة ، بل أحس
أنه يزحف ليلتصق كتفه بكتفها .

وسرت في بدنه نشوة ، ورائت على رأسه غيبوبة ، وانثق في جوفه
قلق للذئب مشتبه ، وغاب كل شىء عن وعيه إلا لذاته والأنثى الجميلة التى
تشاركه مقعده .

والتفتت إليه ، والتقت عيناه بعينها ، كانت فى العيون دعوة
صارخة .. وهم بأن يحتويها بين ذراعيه ولكنه تردد ، أفرعه قلقه ودقات
قلبه العنيفة المتتالية .

وعادت تقلب صور الألبوم ، وتركته لنفسه لحظة ليقضى على ترده
ورهبته ، وليحطم حصون مقاومته كلها .

واستولت عليه الرغبة ، ولم يعد لحواسه الأخرى سلطان عليه .. كان
متأهبا لتلبية أية دعوة منها ولو كانت نظرة منكسرة .

وتطلع إليها ولعابه يسيل ، وأدارت وجهها نحوه وقد تعمدت أن
يلمس خدها شفثيه الملهتهتين ، ثم رنت إليه رنوة زلزلت كيانه وقالت فى
صوت متهدج :

— يا شقى !

وانتهى كل شىء .

وخرجت سوسن من عنده وهي تحس نشوة الانتصار ، وكانت نشوتها عارمة لأن انتصارها كان مزدوجا . سلبت أحلام التي تمقتها زوجها وسخرت في نفس الوقت من الصداقة النبيلة التي يتشدد بها زوجها .

وسارت وإذا بأمنية شاذة غريبة تطوف بها ، تمنى لو أن أحلام رأتها ، ولو أن فؤاد علم بما فعله أنبل أصدقائه .

ورن في أذنيها صوت زوجها وهو يرتل « إن أخى هذا له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة » ورأته بعين خيالها ، وهو يمرر يده على منبت قرنيه ، فابتسمت ابتسامة عريضة ، وانداحت الراحة في جوفها .

٢٠

كانت أحلام في طريقها إلى سهير ، فالأيام توطد الصداقة بينهما وتقوى أواصرها ، وإن قلب أحلام يميل إلى سهير بينما يزداد على الأيام من سوسن نفوره . وتمنت لو أن فؤاد كان قد تزوج من سهير .

دفعتها شفقتها إلى أن تزور سهير أول مرة ، ولكن تلك الشفقة انقلبت حبا وتقديرا لما لمست طيبة سهير ورجاحة عقلها ، وفكرت فيما كانت تفعله هي لو أن أختها أو أن امرأة أخرى انتزعت منها خطيبها ، إنها كانت تحطم كل شيء ، وما كانت لتبقى على أخضر أو يابس أمامها أو خلفها . عجيب أن تكون سوسن أخت سهير ، أن تكون الخفة والرعوننة أخت الثبات والحكمة . ولكن لا عجب في ذلك مادام الطيش تزوج الطيبة ، جاءت سوسن لأبيها ، وورثت سهير عن أمها خامتها الطيبة .

وفكرت أحلام في أن تبحث لسهير عن زوج ينسبها حبها ، ويبدد بعطفه الظلام الذى ران على روحها ، ويبعث في نفسها الأمل . إنها تعيش الآن في قوقعة ذاتها ، وإن انطواها هذا يوردها موارد البوار . فما أقسى أن ترعى النار في الحشا والضم مطبق ، والعين جامدة .

ودهشت أحلام للفكرة التى تدسنت إلى رأسها ، كيف فكرت في أن تبحث لسهير عن زوج ، وهى التى لا تؤمن بأن حياة سعيدة يمكن أن تبنى إذا وضعت يد امرأة في يد رجل فجأة ليسيرا معا في سبل الحياة الطويلة الشاقة القاسية !

ما انسلت الفكرة إليها إلا لما وجدت أن الحب قد أخفق في تأدية رسالته .

وساءها أن تتهم الحب بالإخفاق ، فراحت تتهم فؤاد بأنه هو الذى أخفق في أن يؤدي رسالة المحب الصادق . فمن عرف حقيقة الحب لا يتخلى عمن يحب هكذا في يسر . إنها تحب عمر ، وقد امتزج حبها إياه بدمائها ، وإن هذا الحب لا يمكن أن تعصف به العواصف أو تقتلعه الأعاصير . إنه أقوى من الزمن وأثبت قدما من كل الأحداث وسيظل شامخا لا يتزعزع .

وتدفقت دماؤها حارة في عروقها وغمرتها نشوة وراحت تستأنف تفكيرها : إن خير ما تفعله لسهير أن تدعوها لمجتمعات فيها شبان يصلحون لها ، فقربها منهم سيحرك القلب الهاجع ، إنه البلسم الذى يأسو الجراح ، فإذا ما عاد الفؤاد يخفق بالحب مرة أخرى فما أشهى أن تضع يدها في يد من أعاد لمهجتها الحياة .

وتحمست للفكرة وعزمت على إنفاذها ، ورأت أن تمهد لها في مقابلتها لسهير . فما أسرع أن تتحمس أحلام لفكرة ، وما أسرع أن تتخلي عنها إذا ما قامت في سبيلها عقبة .

والتقت أحلام وسهير وتعانقتا في حب ، ووقفت الأم تنظر وقد هزت المحبة عواطفها حتى كادت دمعة تفر من عينيها . كانت تشتبي من كل قلبها أن ترى سوسن وسهير متعانقتين متحابتين كما ترى سهير وأحلام الآن ، ولكن زمنها بخل أن يوجد عليها بما يوجد به على كل الناس .

وصافحت الأم أحلام وقالت لها في ود :

— والله يا بنتي أصبحت معزتك في قلبي كمعزتي لسوسن وسهير ، صرت بنتي الثالثة .

فقال أحلام في انفعال :

— أشكرك . هذا هو شعوري ، إنني فقدت أُمي وأنا صغيرة ، ولكن عوضني الله بك خيرا .

وصمتت قليلا ثم قالت وهي تضحك في مرح :

— أصبح لي أمان : أنت وعمر .

ورفعت الأم وجهها إلى السماء وقالت :

— يارب استرهما ومتعهما بشبابهما وأبعد عنهما أولاد الحرام .

ورحن يتجادبن أطراف أحاديث متشعبة . ورأت الأم أن تترك أحلام وسهير وحدهما للتحدثا في حرية ، فقامت وانصرفت لتعد ما تقدمه لأحلام ، وقد تعمدت أن يطول غيابها . كانت بغريزتها تعلم أن الشباب يجب أن يتحدث بعيدا عن أعين الرقباء .

والتفت أحلام إلى سهير وقالت :

— سوسن وفؤاد مدعوان عندنا بعد غد ، وجئت أدعوك لئشار كينا السهرة ، وسيشترك معنا بعض أصدقاء عمر .
لم تكن هناك دعوة بعد ، كانت هذه الدعوة من وحى الساعة رأت أن تبدأ في تنفيذ مارسمه خيالها ، أن تضع سهير مع بعض الشبان في بوتقة ، وتشعل النار . فمن تتفاعل معه سهير يتزوجها وتتزوج ، وأطرقت سهير وقالت :

— لا أستطيع .

فاتسعت عينا أحلام وقالت :

— لماذا ؟

فقالت سهير في صوت خافت مشحون بالأسى :

— قررت أن أبتعد عن طريق فؤاد وسوسن .

فقالت أحلام وهي تدنو منها :

— إني لأفهمك ، ألم تقولى لى بأنك عزمت بعد تفكير أن تندجى في

حياتهما كأن لم يكن بينك وبين فؤاد شيء ؟

فقالت سهير في مرارة :

— رأيت بعقلي الأمل في حبي الذى مات ، وأن على أن أدفنه في

أغوارى ، وأن أسدل عليه ستار النسيان ، وأن أنظر إلى فؤاد على أنه زوج

أختى لا أكثر من هذا . ووطنت النفس على أن أجابه واقعى .. وقد

فعلت . ذهبت إليهما في دارهما ، خرجت معهما ، قابلتهما هنا في دارنا ،

قاسيت كثيرا .. تعذبت كثيرا .. قاومت كثيرا .. وبكيت في حرقة في

سكون الليل حتى تقطعت نياط قلبى وتصدعت كبدى وتمزقت

أحشائى .

تيقنت أن ماقرره عقلي إن هو إلا خدعة كبيرة .. كيف للعقول أن
تقرر مادامت ليس لها على الأفتدة سلطان!؟

إن رؤية فؤاد تجدد أشجاني ، تنكأ جروح نفسي ، تشعل أوار حبي ،
تزيد خفقات قلبي ، تجعل الدماء الحارة تتدفق في عروقي ، تفجر ينابيع
الحنان بين جنباتي ، تثير كل مشاعري .

الويل لي ، لأزل أحبه على الرغم مما كان ، وعلى الرغم من أنني على
يقين من أن هذا الحب لم يعد له مكان . قلبي يخفق بلا أمل ولكنني عاجزة
عن أن أحول بينه وبين الخفقان . وروحي تهفو إليه .. كالفراشة التي تحوم
حول النار ، ولا تكف حتى تحترق .

إنني احتقر نفسي كلما فكرت في سلوكي ، ويا طالما عنفتها أشد
التعنيف وقرعتها في قسوة .. ولكن دون جدوى . سلبت إرادتي ،
وطغت على مشاعري الثائرة كبركان .

حتى أحلامي تأمرت عليّ ، ما من ليلة تمر دون أحلام ، فأهب
مذعورة لأطرد طيفه الزائر ، وقلبي يدق ، وخوفي متحفز ، وحلقي
جاف . إنني أدفن وجهي في كفي وأبكي أحر بكاء .. آه لو وقع في خلد
سوسن ما أراه في الأحلام . إنني أخجل من نفسي ، وأنتفض كلما
فكرت فيما يراودني في المنام .

وصمتت سهير قليلاً ثم قالت :

— لا بد أن أفر .. أن أبتعد عن النار .

فقالت أحلام في أسى :

— وأين المفر؟

قالت سهير وهي شاردة :

— سأتجنب لقاءهما .. سأتحاشي رؤيتهما .. سأصم أذني عن كل أخبارهما .. سأقيم بيني وبينهما سدا من الجفاء .
والتقطت أنفاسها ثم قالت :

— أتذكرين يوم ذهبنا معا إلى حلوان ، كنت أنظر والنار ترعى في جوفي ، والغيرة تنهش صدري ، والضيق يكمم بيده البشعة أنفاسي ، وأغشية صفراء من الكراهية راحت تسدل على عيني غشاء إثر غشاء .
قست على مشاعري ، وأرهقتني آلام نفسي المبرحة ، وكاد احتالي يتصدع وينهار ، وكدت أصرخ وأولول وأمزق شعري لولا بقية من كبرياء .
وجاءوا إلى هنا يوما ، ورحبت بهما وشاركتهما الحديث ، وابتسمت وضحكت وقهقهت بينما كان قلبي ينفطر وينزف دما .

حرام أن أرغم نفسي على أن تستقر في السعير ، حرام أن أتكلف ما لا أستطيع وما ينوء عن حمله بشر .

وقالت وقد اتسعت عيناها ، ولاح في وجهها عزم أكيد :

— سأسافر .. سأبتعد .. سأأى بنفسى ..

وقالت أحلام في إشفاق :

— إننى في حيرة من أمرنا ، نفكر ونمعن الفكر ثم نقرر أن ما اهتدينا إليه هو عين الصواب . وما نلبث أن نعاود التفكير لنقرر أن ما حسبناه صوابا كان سرايا ..

وصمت برهة ثم قالت متسائلة :

— هل هناك صواب لا يعرف الخطأ ؟

ولم تنتظر جوابا بل هزت كتفها وهي شاردة .

— إني في حيرة .

كانت سوسن جالسة في المترو منتشية ، فنظرات الشباب والرجال التي تسدد إليها في جراءة وفي استحياء ومن تحت النظارات ومن زوايا العيون ، تدغدغ حواسها وترضى غرورها ، وما كانت تحاول أن تستر ذلك الشريط المكشوف من فخذهما الذي تعرى لما وضعت ساقا على ساق . ضبظت أكثر من نظرة متسللة تحت ثوبها ، ولم تبدأ أية نامة استياء ، ولم تحاول أن تصد النظرات المختلصة ، بل كانت النظرات الجائعة والعيون التي تكاد تفر من محاجرها تملؤها غبطة ، وتبعث في حناياها خندرا لذيذا يسعدها .

ولم تفكر في المغامرة التي كانت مقدمة عليها ، فهي تعيش حياتها لحظة لحظة ، تحاول أن تمتص غاية ما تستطيع امتصاصه من اللذة في كل دقيقة ، وما كانت تعيش كثيرا في خيالها ، فالمغامرة القادمة تستطيع أن تنتظرها دون لهفة . وقدعاونها على ذلك تعدد منابع لذتها ، فهي تجد في القسوة لذة ، وفي حرمان الناس من أشياءهم لذة ، وفي نظرات الإعجاب لذة ، وفي كلمات الغزل لذة ، وفي الألم لذة ، وفي إيلام الناس لذة .

وقبل أن يصل المترو إلى محطته النهائية قرب الإسعاف نهضت وأخذت تصلح هندامها ، وأخرجت مرآة صغيرة من حقيبة يدها ونظرت فيها ، وأعادت بعض شعرات نافرة إلى مكانها ، ومسحت بطرف إصبعها نهاية الأحمر الذي طليت به شفتاها ، ثم سارت بين الصفوف تعرض جمال تكوينها .

وملأ عبيرها الأنوف فرفعت الرعوس ، حتى النساء كن يتطلعن إليها
وفي صدورهن غيرة . ووقفت أمام باب المترو وقد أرخت ساقا ووضع
ذراعا على الحاجز القريب من باب المترو ، فازدادت أردافها استدارة
وبروزا .

ووقف المترو وتمهل الركاب ينتظرون هبوطها ، ونزلت في رشاقة
ووقفت على الرصيف تلتفت ، فرأت عمر ينتظرها في السيارة التي حملتهم
إلى حلوان ، فانسابت إليه وركبت إلى جواره .

وانطلق عمر في طريق القلعة يسابق الريح ، فقالت له سوسن :
— حذار أن تحطم السيارة .

فالتفت إليها وقد تمهل قليلا وقال :
— ونحن ؟

فقالت وهي تبتسم :

— جروحنا ستلتئم دون مصاريق .

فزاد في سرعة السيارة ، وقالت في خوف :

— بالله تمهل .

— أنا مسئول عن السيارة .

— هل صدقت ؟ كنت أمزح ، لو خيرت بين أن يفنى العالم أو يخذل

لى إصبع لما ترددت في الاختيار .

فرنا إليها في حيبث وقال :

— ستختارين أن يخذل إصبعك طبعا .

فقالت في زهو :

— أبدا . سأختار أن يفنى العالم .

— وتفنين معه ؟

— على شرط أن أبقى أنا .

كان الوقت ساعة الغروب ، ولاحت القلعة رائعة بمآذنها السامقة التي كانت تطعن كبد السماء . وانطلقت السيارة في طريق المقطم ، وأنوار الحوائت تضاء ومصابيح الشوارع ناعسة ، فضوء النهار المدبر لا يزال يبهرها ، والتفتت سوسن إلى عمر وقالت :

— الظاهر أن صديقك وهب سيارته للشيطان .

— إنه رجل كريم يضعها في خدمة الأصدقاء .

فقالته وهى تضحك .

— وهل هناك فرق بين الشياطين والضحاب ؟

ووخزه قولها ، فصمت ، وتظاهر أنه شغل عنها بالطريق ، وما كانت

تنتظر منه أن يجيب . يكفيا أنها أحست أنها آلمته لتسعد ، وقالت :

— لو كان لهذه السيارة لسان لروت أمتع القصص ، سأكتب لأحد

الكتاب أقترح عليه أن يكتب « مذكرات سيارة » .

فقال في صوت مضطرب :

— لو كان لهذه السيارة لسان لخربت بيوت كثيرة عامرة .

وبلغا قمة المقطم ، وتركا السيارة وراحا يتقدمان صوب الكازينو .

كانت الأنوار تتألق ، والهواء يهب رخاء ، والقاهرة راقدة عند أقدام الجبل

كأنها قطع من الماس ألقيت على رداء أسود .

وسلطت الأضواء الحمراء والخضراء على صخور الجبل ، فكان

للمكان سحر يحرك الخيال ، وتلفت عمر واختار منضدة في ركن منعزل

بعيد عن الأنظار .

وجلسا وعمر يتلفت في حذر ، وضايقها تلفته فقالت ساحرة :
— كأنما تخشى أن ينقض عليك الجبل .
— أخشى أن يرانا أحد هنا معا .
فضحكت وقالت :

— فؤاد لا يعرف هنا ولا أظن أنه سمع بهذا المكان ، ولو أراد أن يأتي
لضل الطريق . وما أحسب أن أبى يضيع وقته ليجلس جلسة شاعرية ..
أما أحلام فما الذى يأتي بها إلى هنا ، إلا إذا حملها شيطان .
وضحكت في مرح . واربد وجهه وأحس أن طعنة سددت إلى قلبه .
ساءه أن يذكر اسم زوجته على لسانها في زراية وأن تعرض بها في بساطة ،
فاحمرت أذناه . وفطنت إلى ما يكابده ، فانتشرت النشوة في أرجائها .
وظل صامتا برهة وهو يقاوم الانفعالات التى ثارت في جوفه ، حتى
إذا هدأت نفسه قال :

— أفضل أن نترك هذا المكان بعد أن نشرب شيئا .

— لماذا ؟

— إنه مكان مزدهم وقد يرانا من يعرفنا .

— وأين نذهب ؟

— إلى شقة هادئة ليس فيها أحد .

فقالت فى انفعال :

— قلت لك أكثر من مرة لن نختلى إلا عندك .

فراح يرمقها فى دهش وقال :

— لا أدرى سببا لهذا الإصرار .

فقالت وهى تلقى برأسها إلى الخلف :

- مزاج .
- ولاذ بالصمت برهة ، ولاح في وجهه ضيق ، فقالت له :
- ما الذى يشغلك ؟
- أفكر فيما يحدث لو فاجأتنا يوماً أحلام ؟
- فقالت وهى تبتسم فى استخفاف :
- زوجتك سيدة غارقة فى شهامتها ، إنها مشغولة عنا برعاية سهير
وهدهتها .
- فقال فى قلق :
- أخشى أحلام ..
- فقاطعتة قائلة :
- أقول لك الصدق إني لأخشأها وإن كنت أكرهها .
- وإذا رأنا ؟
- فقالت فى استخفاف :
- تتميت يوماً أن ترانا معا .
- فقال فى فزع :
- أنت قاسية .. شاذة .
- فقالت فى انشراح :
- هكذا أنا .
- وأراد أن يضايقها كما ضايقته ، فقال :
- وفؤاد ؟
- إنه طفل كبير ، أصبح يحبنى ، لا يطيق بعدى .
- وإذا رأنا معا .

— سأقنعه أنه لم ير شيئاً ، أصبح كهذا الخاتم الذى فى أصبعى أحركه
كما أشاء .

وزاحت تحرك خاتم الزواج فى نشوة ، وانبعث فى جوفه قلق ، وساد
الصمت برهة ثم قالت :

— آه لو رأنا فؤاد ونحن فى بيتك .

فقال فى فزع :

— أهذه أمنية ؟

— أمنية غالية تستحق ما يراق على جوانبها من دماء .

فقال وهو حائر يضايقه مزاحها الثقيل :

— لماذا ؟

وغمزت بعينها وقالت :

— ليرى الغر أنبل أصدقائه عاريا ، بلا أقنعة ولا رتوش .

وتقاصرت نفسه وتضاءل ، وانتشر الأسى فى جوفه وجف حلقه ،
واضطرب وارتجف وارتبك ولكنه عجز عن أن يثور ، وقال وقد طأطأ
رأسه وراح يعترف :

— ما أكثر ما هب ضميرى يؤنبنى ، وما أكثر ما قررت أن أفر منك ،

أن أنتشل نفسى من المستنقع الآسن البغيض الذى ترديت فيه ، ولكنى
أصممت أذنى عن صوت ضميرى ، عجزت عن أن أفر ، لم أعد أستطيع
البعد عنك .. كل خلجة فى تحن إليك وتشتبهك ، أحبك وأحبك وأحبك ..

وراح يبوح لها بمكنون صدره ، وهو يش ويفح ويتألم وهى تصغى إليه
وقد انداحت فى أغوارها نشوة عارمة ، وكانت لكلماته الحزينة اليبائسة
الضعيفة المتخاذلة فى نفسها وقع الأهازيج .

عاد فؤاد ذات ليلة إلى داره فألقى الشقة غارقة في الظلام فدهش . لم تقل له سوسن لأنها خارجة ، وقد أشرفت الساعة على العاشرة مساء ، وما كان من عاداتها أن تمكث عند جاراتها حتى ذلك الوقت من المساء . ووضع المفتاح في الباب وأضاء النور ، وجلس ينتظرها وهو قلق حائق ، وزاد في قلقه وساوسه التي راحت تنتضخم في أعماقه وتخزروحه وخزا قاسيا زلزل كيانه .

وراح يغدو في الغرفات وهو قلق منزعج ، ولم يحتمل الوسوسات المسمومة التي تطن في أذنيه ففر إلى الطريق يتلفت في ثورة وانفعال وخطر له أن يطرق أبواب الجيران يسأل عنها ، ولكنه وأد ذلك الخاطر وهو يتمزق غيظا ، تكاد الدمعة تفر من عينيه .

وانطلق كالمحموم ومطارق هائلة تدق رأسه ، والشك يكاد يقضى عليه ، والدم الحار يكاد ينبثق من أنفه ، والأرض تدور به ، والظلام الثقيل الذي يعيش فيه يكاد يكتم أنفاسه .

وألقى نفسه أمام بيت أبيها فراح يصعد في الدرج قفزاً ، وفتحت الأم له الباب فسألها في لهفة :

— هل سوسن هنا ؟

فخفق قلب الأم رهبة وقالت :

— لم نرها اليوم .

فقالت في انفعال :

— خرجت ولم تعد حتى الآن .

فقالت الأم لتهدئ ثورته ، وإن كان القلق راح يمور بين حناياها :
— لعلها عند الجيران .

فقال ليطمئن نفسه ويسكن الثورة الهائجة في صدره :
— لعلها عند الجيران .

ودار على عقبيه وهم بالانصراف ، وقالت له الأم :
— تفضل .. استرح .

— شكرا .

وهبط في السلم قفزا ، وقطع الطريق وهو يهرول كالمحموم ، تضغط تصوراته البشعة على رأسه ضغطا قاسيا ، فيشهق ويزفر في صوت مسموع ، ويرتفع صدره وينخفض ككبير حداد .

ووصل الدار ودخل شقته ، ولم يجدها فدار في الحجرات كثور هائج يضرب الهواء بقبضته ، يمرر يده على جبهته في قسوة ليمسح الخيالات البغيضة التي احتلت رأسه ، ومزقت كبريائه ، ومرغت شرفه في الرغام .

وارتمى في مقعد قريب وهو يصرف أنيابه ويكاد يبكي غيظا ، وزاد في حنقه ذلك العجز الذي يكبله ، والسكون المريب الذي يطوى البركان الثائر في كيانه . ومس أذنيه صوت مفتاح يوضع في الباب فأرهفت حواسه ، واندلعت أسنة الثورة في نفسه ، وهب واقفا وصدره في علو وانخفاض وراح يجمع شتات نفسه ويتحفز للقاء .

ودخلت سوسن ، ولحنته وهو واقف وقد كشر انيابه فلم ترتجف ، ولم تسر في بدنها رعدة ، بل رفعت يدها إلى رأسها تحية وقالت :

— مساء الخير .

ولم يرد على تحيتها بل قال في غضب :

— أين كنت ؟

ولم يدق قلبها ولم تنفعل ، وقالت في هدوء :

— عند الجيران .

فقال في إنكار :

— حتى هذه الساعة !؟

فقال في نيرات ساخرة :

— اذهب وسلمهم إن كنت لا تصدقني .

ولم تهدأ ثورته فقال في غضب :

— لم أعد أطيق هذا العبث ، خروج دون إذن ، غياب عن البيت هذا

أمر لا يحتمل .

وقررت أن تلقنه درسا ، أن تززع كيانه ، أن تفصله عن شخصيته ،

وأن تذلل كبريائه ، أن تمرغ أنفه في التراب ، ألا تقوم له قائمة بعد الليلة

أبدا ، وأن يصبح أطوع لها من بناتها ، ففالت في ثورة مفتعلة :

— حتام سأحتمل نزواتك وغيرتك العمياء ؟ إذا خرجت أكلتك

الغيرة ، وإذا غبت عند الجيران قليلا نهشتك الغيرة ، وإذا حدث هذا أو

ذاك قتلتك الغيرة . نظراتك كلها شك . إنني لأستطيع أن أعيش مع

رجل لا يثق بي ، ماذا تحسبني ؟ أتظنني من نبات الهوى لأنك غررت

بي ؟

ودارت به الأرض وعصفت به الانفعالات ، وأحس كأن لطمات

هائلة تهوى على وجهه ، وطعنات مسمومة تسدد إلى قلبه ، وأن جميع

مشاعر الثورة والحقد والمقت والغضب انطلقت في أغوازه بلا ضابط ،
وأن أغشية كثيفة أسدلت على عينيه ، وتعطل تفكيره وغرق في الهوان .
وتأججت النيران في كيانه كله ، فقال وكأنما يلقي بقذيفة من صدره :
— يا سافلة .. يا فاجرة .

وتحرك في ثورته ليطش بها ، ولكنها لم تقف في طريقه متحدية ، بل
انفلتت منه . ولم تكن في حاجة إلى قسوة لتدغدغ مشاعرها التي
لا يوقظها إلا الألم ، كانت قد عبت الكأس كلها قبل حضورها حتى
ارتوت .. إنها في حاجة إلى إذلاله وكسر كبريائه وتقليم أظافره ، وقالت
وهي منطلقة إلى غرفتها كالعاصفة :

— والله لن يجمع بيني وبينك سقف واحد بعد الآن .

ووقف يغن ويتلوى من العذاب ، متوتر الأعصاب مبهور النفس ،
وراح الوقت يمر وسوسن في غرفتها تجمع حوائجها وتضعها في حقيبة
لتأهب لمغادرة الدار ، وهو واقف صامت لا يتحرك .

وبدأت ثورته تنقشع وراحت مشاعره تهدأ ، وعاد نفسه للانتظام
وأخذ فكره يعمل فلم يرتح لفكرة الخصام .

وراودته فكرة أن يذهب إليها وأن يشيها عن عزمها فهو يمقت أن تخرج
أسرار بيته إلى الناس ، وأن يقال إنه أغضب زوجته حتى أرغمها على
الذهاب إلى أهلها . لكن بقية من كبرياء هبت في وجه الفكرة المتخاذلة
وأعلنت راية العصيان .

ووقف حائراً يترجح بين ضعفه وكبريائه ، وابتثق ضيق في جوفه راح
يغريه على أن يتحرك وأن يتقدم ، وأن يضمها إليه ويمسح بشفتيه آثار
الثورة العارمة التي عصفت بهما ، وإذا بصوتها يرن في ضميره يردد ماذا

تحسبني ؟ أتظنني من بنات الهوى لأنك غررت بي .. لأنك غررت بي ..
وعاد رأسه يدور ويضيق صدره .

وحملت سوسن حقيبتها ومرت من أمامه دون أن تلتفت إليه أو تنبس
بكلمة ، وطلق ينظر إليها وبين ضلوعه مشاعر غريبة متباينة . كان يحس
شفقة ويحس قسوة ، يريد أن يحول بينها وبين الخروج ، ويريد أن يضربها
وأن يقذف بحقيبتها بعيدا .. أن يضع شفتيه على شفتيها ، وأن تدفن
وجها في صدره .. أن يلوى ذراعها ، وأن يجذبها من شعرها حتى تختر
ساجدة عند قدميه .

وغابت سوسن عن عينيه وأغلقت الباب خلفها في عنف ، فانهار على
أول مقعد قابله ، ودفن وجهه في كفيه وهو مشتت الفكر ليس له قرار .

٢٣

كانت سوسن في بيت أبيها هادئة مطمئنة ، تتحدث وتضحك وتسخر
من أمها التي كانت قلقة من عدم حضور فؤاد ليحمل زوجته إلى داره بعد
أن يعاتبها ، كانت كأما تلعب لعبة واثقة من نتيجتها .

وكانت سهير تحس ضيقا ، كانت في قرارة نفسها تتمنى أن تسعد
أختها فؤاد ، وأن تواسيه وأن تهيب له حياة مستقرة ، لا يشقى فيها ، وإذا
بسوسن تخصصمه ، ولا تكتفى بالخصام بل تؤذى كرامته ، وتترك له
البيت وتخلفه وراءها وحده للحزن والأشجان .

وراحت تفكر فيه وتحاول أن تستشف مشاعره ، فاستشعرت ضيقا
وقلقا وشجنا وهوانا ، فحقق قلبها في شدة ، واضطربت روحها وانبتقت

رقة حزينة في حناياها واستولت عليها رغبة أن تحدث أختها وأن تعيد إليها عقلها .

كانت سهير واثقة من قسوة سوسن ، ويا طالما اكتوت بنارها ، كانت قررت مذ عادت أختها من بيت زوجها ألا تحدثها في هذا الموضوع حتى لا تثير متاعب جديدة ، ولكنها بعد أن فكرت اهدت أن عتابها لسوسن قد يعيد عقل أختها إلى رأسها ، ويجنب فؤاد مواقف قاسية حرجة .. وتقدمت تحدث سوسن ، ووطنت النفس على أن تتحمل قسوتها من أجله .

قالت سهير في رقة :

— لماذا تركت دارك ؟

والتفت سوسن إلى أختها ، وراحت تنفرسها في ريبة وقالت في استخفاف :

— ليفهم أنني لست مقطوعة من شجرة ، وأن لي بيتا ويوونى ويحمينى من ثوراته الصيانية .

ودنت سهير منها وقالت في توسل :

— بالله عودى إلى زوجك .

فقالت سوسن في استغراب :

— أعود إليه كالكلية دون أن يأتى صاغرا ليأخذنى !؟

وتضايقت سهير ، وخزتها كلماتها النابية الجافة ، لكنها كبحت زمام عواطفها وقالت :

— عودى إليه .. أنا واثقة أنه في انتظارك .

— أعود إليه وحدى ؟

— عودى إليه وحدك كما جئت وحدك ، هذا فى رأىى أضمن
لسعادتكما .

وضايق سوسن تدخل سهير فى شئونها ومحاولتها تحطيم تدبيرها ،
فقالته وهى تضحك فى سخرية وتميل برأسها إلى الخلف :

— أيهمك أمر سعادتنا ؟

فانقبض صدر سهير ، وقالت ؟

— أتشكين فى هذا ؟

فقالته سوسن فى نبرات هازئة :

— كنت أظن أن شجارنا يسعدك .

فقالته سهير فى اضطراب ودهش :

— يسعدنى أنا ؟ لماذا ؟

فضحكت سوسن ضحكة ساخرة ، أحست سهير وقعها فى قلبها
كخنجر ، وقالت :

— هذا الشجار يقرب أملك ، أملك فى أن يطلقنى ويتزوجك .

ودارت الأرض بسهير ، وثارت مشاعرها ثورة عارمة ، وانفجر

مرجل غضبها فقامت فى حنق :

— سافلة .

وهمت بأن تنفض عليها تنفس عن صدرها الحانق وتنتقم لكبريائها

المجروحة ، ولكنها كبتت عواطفها وقامت فى غيظ :

— لولا أننى لأحب أن تمتد يدي إليك بعد أن تزوجت للطمتك .

ولاح الانفعال فى وجه سهير ، وأحست سوسن لذة ، وشاءت أن

تربو لذتها وأن تزيد استمتاعها فقامت :

— أحب أن أقول لك إن زوجي أصبح يعبدني ، لا يستطيع أن يعيش بلوني ، لم يعد يحب أحدا غيري أنا ..
ودارت الأرض بسهير ، أحست كأن جلادا قاسيا يهوى عليها
بسياطه في تتابع دون أن يترك لها فسحة تلتقط فيها أنفاسها ، وأن سهامها
مسمومة تسدد إلى فؤادها ، وأن ماء مغلى يصب فوق رأسها ، وأن نارا
أشعلت في حناياها . وخشيت أن تنهار ، أو يفلت منها زمام عواطفها
فتجهش بالبكاء ، فراحت تغادر المكان وفي وجهها أسى وفي جوفها فزع
وهلع وأنين .

وابتسمت سوسن راضية ، ورنت في أعماقها قهقهقات عالية سعيدة
معرفة ، فقد انتصرت على سهير في المعركة وداستها بالأقدام .
واتجهت سوسن إلى الورا وهى تدندن ، وراحت تصلح زينتها ، ولما
اطمأنت إلى روعتها غمرت لخيالها ورفت على شفيتها بسمة .
وأقبلت أمها وقالت في قلق :

— لم يأت فؤاد بعد .

فقالت سوسن في هدوء :

— لن يأتى اليوم .

فقالت الأم وقد نفذ صبرها :

— ومتى يأتى ؟

فقالت سوسن في ثقة :

— غدا الساعة التاسعة .

والفتت الأم إليها فى دهش وقالت :

— ومن أين عرفت ؟ ومن قال لك ؟

فقالته وهى تبتسم :
— أنا واثقة .

فقالته الأم فى ضيق :

— حلمت ؟ قرأت الفنجان ؟ قرأت الطالع ؟

فقالته سوسن وهى تضحك فى مرح لخرة أمها :

— قرأت قلب فؤاد .

فقالته الأم وهى تتحرك لمغادرتها يائسة :

— والله فؤاد معذور معك .

وهتفت سوسن :

— ماما !

والتفتت الأم وقالت فى حب :

— عين ماما .

— قولى لبابا لا يخرج غدا .. ينتظر فؤاد .

فهزت الأم كنفها فى خيرة ، وسارت وسوسن ترنو إليها مغتبطة .

ومر الوقت وأقبل الليل ، وجاءت أحلام لتخرج مع سهير ، فلما رأتها

الأم أحست راحة ، رأت فيها الصديقة التى ستعيد سوسن إلى بيتها .

والتفتت الأم إلى أحلام وقالت فى صوت خافت :

— والله سوسن هنا . غضبانة .

فقالته أحلام فى إنكار :

— غضبانة ؟

قالته الأم لتوحى إليها بما تفعله :

— حاولت أن ألين رأسها دون جدوى ، قلت لها عودي لزوجك ولكنها أبت .

— لا . وهل لنا إلا بيوتنا ؟ سأخذها من يدها وأعود بها إلى بيتها .
وخفق قلب الأم ، وأحست سعادة ، ولكنها لم تقو على زعزعة القلق المنتشر في صدرها ، وقامت تتعجل الأمر ، وذهبت تنادى سوسن .
دخلت الأم على ابنتها وقالت في صوت ينم عن الغبطة :
— أحلام هنا .

فقالت سوسن دون اكتراث :

— سأقابلها .

— هيا .

ورمقت أمها بطرف عينا ، ثم قامت في بطء وسارت تنهادى . ورأتها أحلام فقامت إليها ترحب بها وقالت :
— آسفة . لم أكن أعرف . قالت لي ماما الآن .

وصممت سوسن ولم تنبس بكلمة ، وجلست بالقرب من سهير التي أطبقت فمها وأسبلت جفניה على عينيها وتحرك قلقها . كانت تخشى أن تطعن سوسن أحلام دون أن ترحمها . وقالت أحلام في رقة :
— ليس لنا غير بيوتنا ، وحتى إذا غضبنا لا ينبغي أن نتركها .
وصممت قليلا ثم قالت وهي تبتسم :

— البيوت بيوتنا وليست بيوت الرجال ، فإذا وقع بين الزوجين جفوة وكان لا بد أن يغادر أحدهما البيت حتى تهدأ العاصفة ، فعلى الرجل أن يتركه لا المرأة .

وأقنع قولها الأم ، وسخرت سوسن منه في أعماقها ، واختلست سهير نظرة سريعة سدحتها إلى وجه أختها فربما قلقها ، وودت لو تطلب من أحلام أن تنأى بنفسها وتبتعد من طريق سوسن ، ولكن أحلام قالت لسوسن :

— قومي .. قومي نعود معا .

فقالت سوسن في خشونة :

— هذا أمر بيني وبين فؤاد ، ولأحب أن يتدخل بيننا أحد .

وكأنما ألقىت قذيفة اهترت لها النفوس ، وتطايرت الأم وأحلام وسهير أشلاء . ثم ساد صمت عميق لا يعكسه أنين الجرحى ، فقد كانت القذيفة قاضية . ومرت لحظات خالها الجميع دهرا ، ثم نهضت سهير وأشارت إلى أحلام أن هيا ، فقامت أحلام وانسحبت دون أن تبس بكلمة ، وسوسن تتبعها بنظراتها الحاقدة . وبقيت الأم وسوسن وراحت الأم تجمع أطراف شجاعتها لتعاتب ابنتها ، ولكن سوسن قامت بسرعة لتنفيذ الفكرة التي التمت في رأسها . فارتدت ثيابها على عجل وتحركت لتخرج ، فرمقتها أمها في دهش وقالت :

— إلى أين ؟

— ذاهبة لزيارة إحدى صديقاتي .

— وإذا جاء زوجك ماذا أقول له ؟

فقالت وهي تغادر البيت :

— قلت لك إنه سيأتي غدا في الساعة التاسعة .

وانسلت كالأفعى لتنتقل إلى عمر ، لتسخر من أحلام وتنتقم منها

وتسلبها بيتها .

نظر فؤاد إلى فراشه الذى تكوم فيه الغطاء ، وتهدلت وسائده ، وضربت الفوضى فى أطنابه ، فأحس ضيقا ، وراح يلور بعينيه فى الغرفة التى تبدل تنسيقها فزاد اضطرابه وشعر بفراغ كبير فى حياته ، فتناول كتابا وأخذ يقرأ فيه وما أسرع ما تسرب إليه الملل فرماه وألقى بنفسه فى الفراش وطفق يتقلب .

ومرت لحظات لم يستطع أن يستقر فيها فقام وأشعل سيجارة ، وجعل ينفخ دخانها وهو شارد لا يفكر فى شىء . إنه ملول يقاسى وحدة قاسية . كان قبل أن يتزوج يقضى الساعات وحيدا وما كان يضيق بوحدته ، ولكنه بعد أن تزوج وملأت سوسن حياته أصبح الفراغ يضايقه ويرهق حواسه .

وذهب إلى المطبخ وأخذ يذيب بعض السكر فى كوب وعصر عليه ليمونة وراح يشرب الشراب فى ببطء ، لم يكن مشتاقا إلى الشراب ولكنه أراد أن يفعل شيئا ليملاً فراغه البشع الفاجر فاه لبيتلعه .

وعاد إلى غرفته وأخذ يعيد تنسيق ثيابه فى الصوان ، وسرعان ما تضايق فاتجه إلى السرير يرتقى فيه ، وأدار الراديو وأصاخ سمعه يسمع الأغنيات المنبعثة منه ، وما لبث أن أخلقه وتناول مجلة جعل يتصفحها ولم يندمج فيها ، كان يستشعر نقصا ، إنه فى حاجة إلى إنسان يحادثه ويجادله ويتفاعل معه ، ليحس وجوده ، ويقتنع أنه يعيش .

فراغ وملل .. ولا شيء غير الفراغ والملل ، ولأول مرة فهم لماذا يقدم بعض الناس على إدمان الشراب ، ليفروا بأنفسهم من قسوة الوحدة والفراغ الممض الثقيل .

واحتلت صورة سوسن تفكيره ، فحن إليها ووطن العزم على أن يذهب إليها وأن يضع أصابعه في أذنيه ليصمهما عن صوت كبريائه الذي ينهيه عن أن يترضاها ، ويصر على أنها مادامت قد خرجت غاضبة ، فعليها أن تعود بنفسها كما خرجت .

ودق جرس الباب فدق قلبه في شدة وتحرك قلقه ، وأحس إحساس المحب المقدم على موعد غرام . داعبته فكرة عودتها فأسرع وهو نشوان . وفتح الباب ، فألقى موزع البريد يقدم إليه رسالة . فتنازها وفضها وقرأ في لهفة ، كانت رسالة منها .. كانت لا تتجاوز سطرين ، طلبت منه فيها أن يستمع إلى ما يطلبه المستمعون الليلة .

وحنق وجعل يقلب الرسالة بين يديه . وقر في نفسه أنها تسخر منه ، وهب صوت كبريائه يخزه ويوسوس في نفسه أن يتركها حتى تعض بنان الندم .

وجاء المساء وهو قلق ، ضيق بالفراغ الذي يعيش فيه ، وفكر في أن يخرج ولكنه لم يستطع الحركة فقد تسمر إلى جوار الراديو .

وأدار الراديو وهو مسلوب الإرادة ، وأنصت إلى ما يطلبه المستمعون ، كانت المذيعة تردد أسماء أناس يطلبون أغنيات يهدونها إلى أقاربهم أو أحبائهم أو أصدقائهم في بلاد بعيدة أو قريبة ، ولم يفهم ما الذي حرك شيطان سوسن لتدعوه إلى الإصغاء لهذا البرنامج .

وهم بأن يغلق الراديو وهو يسخر من نفسه لأنه استجاب لهزتها ،
وفجأة صك أذنيه صوت المديعة تقول ، ومن السيدة سوسن إلى زوجها
فؤاد . وخفق قلبه في شدة ، ولفته رهبة وأحس أنه في غيبوبة ، وتعطل
تفكيره برهة ، ولكن سرعان ما عاد عقله يعمل ، فاستنكر فعلتها ولكنه
أعار الراديو سمعه وراحت الأغنية تغنى :

ما تحبنيش بالشكسل ده وتغير كثير من ده وده
واستمرت الأغنية تنساب في روحه وهو مطرق يهتز حيناً ويرتجف حيناً ،
وخيل إليه أكثر من مرة أن سوسن هي التي تغنيها .

ومست الأغنية وترا حساساً في نفسه فانهارت مقاومة كبريائه ، إنها
تدعوه لينسى غيرته ، لينسى ما كان بينهما من جفوة ، إنها دعوة للصلح ،
وما كانت تستطيع أن تفعل أكثر من هذا ، فعليه أن يقدم هو الخطوة
التالية .

وأقنع نفسه وما كانت في حاجة إلى إقناع .
وارتدى ثيابه على عجل ، وانطلق وهو يكاد يجرى ، حتى إذا بلغ
دارهم تمهل يلتقط أنفاسه ويتصنع الوقار .

ودخل وقابل جلالاً والأم ، وصافحته الأم وهي فرحة وإن كانت
الدهشة تسرى في جوفها ، وراحت تتساءل : كيف عرفت سوسن أنه
سيأتي الليلة في الساعة التاسعة .. ولم تجد جواباً .

وبدأ فؤاد يتكلم ، كان عازماً على ألا يشكو وألا يعيد الماضي ، ولكن
لسانه جرى بما لا يشتهي وقال :

— كثر خروجه بدون إذني ، وطال غيابها دون أن أدرى أين هي ،
ولما عاتبها حملت ملابسها وخرجت .

فقال جلال وهو يضحك :
— سوسن بنتى ، ولكننى بالرغم من ذلك أسدى إليك نصيحة ،
المثل يقول :

« الضرة تعدل القمطة العوجة » .

وذهل فؤاد ، واتسعت عينها الأم رعبا وقالت فى عتاب :
— دائما تمزح .

فقال جلال فى إصرار :

— إننى أمزح ولا أقول إلا صدقا .

وضحك وبدأت كرشه تهتز ، والتفتت الأم إلى فؤاد :

— يا بنى قم اخذ الشيطان الله يهديك وخذ زوجتك ، إنها تنتظرك فى
الغرفة الثانية .

وتحمل فؤاد وأحس خجلا ، وانتظر أن يدعو جلال للذهاب ليأخذ
سوسن ولكن جلال قال :

— إذا ركبت المرأة وهزت رجليها فلن تنزل أبدا . أنت حر .

وراح فؤاد ينظر فى حيرة ، إنه لا يستطيع أن يسبر غور هذا الرجل ،
أهو معه ضد ابنته ، أم أنه يسخر منه ، أم أنه يهذى لا يدري ما يقول .
ونفضت الأم وقد ضاق صدرها ، جذبت فؤاد من يده وقالت فى
توسل :

— قم يا بنى الله يهديك .

ونفض فؤاد وسار فى خطأ وثيدة مضطربة وفى جوفه قلق وهوان ، فقد
ضحخم له وهمه ما قاله الأب ، وراح يقنعه أن سخريته لا ذعة .
وغاب فؤاد عن عينى الزوج والزوجة ، وقالت الأم فى عتاب مرير :

— يا رجل اعقل ، هل هناك أب في الدنيا يحرص زوج ابنته على أن يتزوج عليها وأن يأتي لها بضرة .

وضحك جلال في سخرية وقال في زراية :

— لو كان كفننا لأن يتزوج مرة أخرى ماجاء إليك أو إلى ابنتك يتوسل . اطمعنى إنه أضعف من أن يتزوج امرأة أخرى .

ودخل فؤاد على سوسن خافق القلب ، فقد هد أبوها كيانه وزلزله زلزالا عظيما ، ولم يجد مايقوله ، فاتجه إليها ولف ذراعه حولها وقال في صوت خافت مضطرب :

— سوسن .

ونظرت إليه وهي عابسة ، فقال في ضعف :

— هيا بيتنا ينتظرنا .

وتحركت سوسن لتعود بحقيبتها ، كانت مسرورة تصدح في أعماقها أهازيج النشوة ، وتأكدت من سلطانها فزادت غبطة وطغيانا .
وراحت تضع ملابسها في حقيبتها وسهير جالسة ساكنة ، ولما انتهت سوسن من إغلاق حقيبتها وحملتها ، التفتت إلى سهير وأخرجت لها لسانها تغيظها .

وأطرقت سهير والأنسى يأكل صدرها ، هوت سوسن في عواطفها حتى الدرك الأسفل ، وأخرجت سوسن من البيت وذراعها في ذراع فؤاد ، والغرور يملاً جوانحها .

دخلت أحلام تلتفت وقالت :

— أين سهير ؟

فقالت الأم :

— في سريرها ، تحس بعض التعب .

وسارت الأم أمامها حتى إذا بلغت غرفة نوم سهير فتحت الباب

وقالت :

— تفضلي .

ودلفت أحلام من الباب ، وقبل أن تخطو خطوة قالت سهير وهي

ترفع يدها كجندی المرور :

— قفى لا تتقدمى .

وقفت أحلام وقالت في دهش :

— ماذا هناك ؟

قالت سهير في تحذير :

— الآسيوية .

قالت أحلام وهي تتقدم :

— بسيطة . ثلاثة أيام راحة .

فقالت الأم في استغراب !

— حتى الأمراض أصبحت لها جنسية ، حمى أسبانولية ، دمل

صيني ، إنفلونزا آسيوية ، جرب إسرائيلي .

- فقال أحلام وهي تبتسم :
— ولكنها تنتقل بلا جواز سفر .
وقالت سهير وهي تبعد وجهها عن أحلام :
— بل تنتقل مع جوازات السفر .
وقالت الأم :
— كل سنة مرض جديد .
فقال أحلام :
— تتبدل الأزياء والأمراض حسب المواسم ، صارت تتبع المودة .
والتفتت إلى سهير وقالت :
— خسارة ، جميع من شاهدوا رواية اليوم قالوا إنها مذهشة .
ونظرت في ساعتها فقالت لها سهير :
— ماذا وراءك ؟
— ما يزال هناك متسع من الوقت لأعود إلى البيت وأخذ عمر
ونذهب معا :
ونفضت أحلام وهي تقول لسهير :
— آسفة .
— مع السلامة .
وانطلقت إلى البيت مسرعة ، وهبطت من التاكسي ورفعت عينيها
فألقت ستائر غرفة النوم مسدلة ، والنور لا يقوى على أن ينتشر فيها ، ولم
تأبه .. حسبت عمر قد استلقى في السرير يقرأ .
وصعدت في الدرج مسرعة ، ودقت جرس الباب دقات متتابعة ، ولم
تشأ أن تضيع وقتا فأخرجت المفتاح من حقيبتها ووضعت في الباب

وأدارته ، وما أن تقدمت بضع خطوات حتى وقع بصرها على عمر
منفوش الشعر يصلح ثيابه وقد علاه ارتباك شديد .

ووقفت برهة في دهش ، وفي مثل لمح البصر حزرت كل شيء . كان
لونه أصفر ممتعا كوجوه الموتى ، وكان يرتجف من رأسه إلى أخمص القدم
وفي عينيه يأس شديد .

وخفق قلبها برهة ، واضطربت نفسها ، واستولى عليها حنق
وغضب ، وانطلق وحش كاسر يزجر في أعماقها ، وأحست قوة طاغية
تسرى في عروقها فتقدمت كالإعصار لترى من في الغرفة .

واعترض طريقها عمر ، ودفعته في قوة وهي تصيح :
— لا بد أن أرى الفاجرة التي دنست بيتي ، لن أدعها تخرج حية
أبدا .. سأقتلها .. سأقتلها .

وراحت تدفعه وهو يقاومها ، واستماتت في دفعه فقد أمدتها ثورتها
بقوة ، واستمرت تصرخ والسباب يتدفق من فمها ، وهو يحول بينها وبين
الوصول إلى غرضها .

وفي مثل لمح البصر لمعت في رأسه فكرة ، فراح يدفعها في عنف وهي
تقاوم ، واستمر يدفعها حتى وصلا إلى باب غرفة مفتوحة . وفطنت إلى
ما يبغى فراحت تضربه في صدره ووجهه وقد تسمرت في الأرض وهي
هائجة تصرخ .

ودفعها من الباب في شدة ، وتشبث بالضلفة المعلقة لا تتركها ،
واستمر يدفعها دون أن تتحرك ، وحاول أن يفك قبضتها عن الباب دون
جلوى ، واستطاعت أن ترده على أعقابها وتخرج .

وهجم عليها يائسا ، ولف ذراعيه حولها وقد كتف ذراعها ، واستمر يحملها ويمر جرها حتى بلغ بها الغرفة ، وألقاها وأسرع ليغلق الباب خلفها ، ولكنها نهضت لتحول بينه وبين إغلاق الباب عليها .

واستمر يجذب الباب ليغلقه واستمرت تجذبه لتفتحه ، وثبتت قدمه في ضلفة الباب المغلقة ، وألقى بكل جسمه إلى الخلف وهو يجذب الباب . وبعد جهد أغلق الباب وأدار مفتاحه .

وراحت أحلام تضرب الباب بقبضتيها وهي تصيح وتصرخ وتسب . والحنق يكاد يمزقها ، والغضب يمزج في أرجائها ، والهوان يكاد يقضى عليها . وأسرع عمر وهو يشهق ويزفر في صوت مسموع إلى غرفة النوم وأشار لسوسن أن تلوذ بالفرار .

وانسلت سوسن وهي تترقب ، خائفة حتى الموت ، مضطربة حتى لتكاد تسقط إعياء ، تجر رجلها جرا ، وتحمل بعض ثيابها على ذراعها ، وخرجت وهي فزعة مرعوبة يكاد يغمى عليها .

ووقف عمر يلتقط أنفاسه وهو في دوامة ، نائرا قلقا منزعا ، مخدر العقل ، متوتر الأعصاب ، مرهف الحس ، فقد ذهبت نفسه شعاعا . وساد صمت مريب ، لم تعد أحلام تسب وتلعن وتضرب الباب بقبضتيها في ثورة ، وأوجس خيفة ، وراح ذهنه يعمل ، ففطن إلى أنها قد ذهبت إلى الشباك لترى الهابطة التي دنست فراشها .

وفزع ، ودوى قلبه بين جنبيه دويا قويا ، وزحفت الرهبة وانتشرت بين ضلوعه وأسرع إلى الباب يفتحه في لهفة وانفعال ، ونظر فألقاها عند الشباك واقفة ترصد الطريق في تحفز وقلق ..

وانقض عليها كالنسر يحاول أن يبعتها عن الشباك ، وثبتت قدمها في الأرض وجاهدت حتى لا تتزحزح ، وراح يضع يده على عينها حتى لا ترى شيئا ، وتمكنت من أن تزج يده ، ولكن سرعان ما جذبها جذبة قوية أبعتها عن الشباك .

وعادت تقاوم في إصرار ، مبهورة النفس ، منفوشة الشعر ، وقد تمزق ثوبها بعد أن تمزق قلبها وطعنت كرامتها ، راح يلوى ذراعها في قسوة . كان مستعدا أن يفعل أى شيء ليستر سوسن . ومالت عليه وعضته في وحشية ، فأرخت قبضته الحديدية ، وانفلتت منه ، وجرت إلى النافذة وقد لمحت شبح امرأة تتقدم إلى الظلام لبيتلعتها .

وعاد إليها ليدفعها عن الشباك ، ولكنها تحولت عنه يائسة ، وراحت تزجر وتسب ، وأصبح كل منهما أمام الآخر وجهها لوجه . وأحس عمر راحة لانفلات سوسن . وإن كان يائسا فقد تيقن أن كل ما بينه وبين أحلام قد انتهى .

وكانت أحلام تن وتنزف مقتنا ، وتستشعر هوانا وذلا ، على الرغم من ثورتها الجارحة . وقالت في انفعال شديد وقد تحجرت الدموع في مآقيها :

— في بيتي .. وعلى فراشي ؟! يا للمهانة ! لم تكتف بخيانتى بل أمعنت في احتقاري وإذلالى ، لا ، إنك لم تحتقرنى بل احتقرت نفسك ، إنك لم تلوث شرفى ولكنك بعث شرفك ، حسبتك العفة ، فإذا بك الدناءة نفسها .. لالين أعيش معك بعد اليوم أبدا ، أنت جيفة تننة ، روح متقيحة ، نفس شريرة ، أكرهك .. أمقتك .. أمقتك ..

وانفجرت باكية ، ودارت على عقبها وانطلقت لا تلوى على شيء ،
وعمر واقف كالتثال لا يحرك ساكنا ، وإن كانت عواطف الحزن والأسى
تكاد تعصف به : كان يحس خجلا ، ولكنه لم يشعر بندم .

٢٦

أتى المساء ، وراح عمر يتأهب لاستقبال سوسن ، وضع نضدا أمام
مقعد طويل يتسع لهما ، وجاء بالزجاجة التي اشتراها ووضعها على
النضد ، ثم صف الكأسين إلى جوار الزجاجة ونظر . ومالبت أن عاد
يحرك الكأسين ويبدل وضعهما وينظر كأنما يقوم بعمل هندسى .
ونظر في ساعته وانطلق إلى المرأة يصلح الروب يلفه حول جسمه
الذى يكاد يكون عاريا ، وتناول المشط وراح يعيد تنسيق شعره الأسود
الفاحم ، وفتح فمه وأسنانه مطبقة ، وتفرس في أسنانه ، وجاء برشاشة
كولونيا وضغط على مطاطها يرش وجهه وفمه مفتوح .
وراح يفكر فيما فعله اليوم ، انسل إلى بيت فؤاد في الصباح ، ودق
الجرس وجاءت سوسن وفتحت الباب فقال وهو بغض الطرف ، ثم
يختلس إليها نظرات نارية كما يفعل المتظاهرون بالحياء .

— فؤاد بك موجود ؟

وقالت من وراء الباب كأنما لم تره من قبل :

— لا . من فضلك نقول له من ؟

فقال وهو يمد راسه ليكشف مفاتها .

— صديقه عمر .

فقالت كأنما تذكرت شيئا فجأة :

— آه الأستاذ عمر . أنبل الأصدقاء .

إنها قاسية ، تميل إلى تجريحه والهزء به أحيانا ، ولكنه يحبها ، يشتهيها ، حياته فراغ بلدونها ، صار يتمنى لو تقضى بقية العمر معه .

وقال وهو يتقدم منها :

— أرجو أن تبلغيه أنني أنتظره في البيت الليلة .

— أفعل .

ودفع الباب ليدخل ، ولكنها حالت بينه وبين الدخول وقالت في

سخرية :

— إننى لا أستقبل رجالا في بيتى وزوجى غائب .

واضحك وتلفت فلما لم يجد أحدا أراد أن يقبلها ، فقالت وهى تحرك

سياستها أمام وجهه :

— حذار ، إننى أمقت أن ألوث بيتى .

واضطرب ، إنها تخزه وخزا أليما وهى هادئة تبسم ، كأنما تداعب

هرة .، واحتمل وخزها وقال :

— منتظرك الليلة .

وأغلقت الباب وانصرف .

محيرة هذه المرأة ، إنها قاسية غامضة ذات نزوات ، ولكنه يحبها كما هى

بقسوتها ونزواتها وغموضها .

وتطلع إلى ساعته مرة أخرى ، وعاد إلى الزجاجاة والكأسين وجعل

يحركهما ويعيد تحريكهما ، ثم انطلق إلى النافذة يكشف الطريق لعله

يلمحها قادمة .

وراح الوقت يمر وئيدا وئيدا ، وتحرك قلعه ، وطفق يتلفت في لهفة
وحيرة ، وهمس في جوفه صوت يؤكد أنها لن تأتي ، إن مقابلة الصباح
وإن كانت ناعمة إلا أنها كانت ملساء كالأفعى ، توحى بأنها قد عزمت أن
تقطع كل ما بينه وبينها .

وأخنقه الهمس البغيض ، وقبض صدره ، وآلم قلبه ، وراح يطمئن
نفسه ويقنعها بأنها إن أخلفت ميعاد الليلة فقد تكون مضطربة مترددة من
أثر المفاجأة .

وراح الصوت الهامس يفح في نفسه : مضطربة ؟ مترددة ؟ إنها
لا تعرف الاضطراب ولا التردد ، إن كانت لا تزال تريدك فقد كانت
الفرصة مهيأة في الصباح ، بعيدا عن مكان المفاجأة . إنها صدتك في
نعومة ، حتى القبله الخاطفة حرمتك منها .

وزاد انقباضه وربا ضيقه ، وتحرك حنينه وراحت كل خلجة من
خلجات نفسه تهفو إليها : إنه لا يتصور أن تهجره ، ضحى بزوجته في
سبيلها وهو على استعداد ليضحى بها مرة أخرى لو كان ذلك يرضيها .
وحقق واندلعت ألسنة النار في أحشائه ، واستولى عليه خوف شديد
قاتل . كان يخشى أن تكون قد هجرته ، خفق قلبه في شدة وأحس كأن
روحه تكاد تفر من بين جنبيه .

ولكن لماذا تهجره ؟ إنه لا يزال عمر ، بل أصبح عمر بلا زوجة . كله
لها وياليتها تصبح كلها له ، بات يغار من فكرة أن لها زوجا ، رجلا آخر
غيره يشاركه فيها .

ليته قادر على أن يخطفها ، أن يفر بها ، أن يعيش هو وهى وحدهما
بعيدا عن البشر جميعا . إن قلبه لم يخفق لأحلام كما خفق لها . كان زوجا

ولكنه لم يكن يعرف معنى الحب . فتحت عواطفه على عوالم جديدة ، على دنيا رحيبة ، وما كان ليعود إلى دنياه الضيقة بعد أن ذاق طعم الحياة . لن يدعها تفر منه أبدا ، أو تتسرب من بين يديه .. إنها درته الغالية ، إنها الأمل والنور ، إنها نبضات قلبه المتدفقة ، إنها مهجته وغاية ما يريد من دنياه .

وراح يذهب ويحيىء في الغرفة وهو قلق ، فاض ضيقه وخوفه من عدم موافقاتها له حتى كادت الدموع تطفر من عينيه . ليثا تقبل لتقضى على هذا الاضطراب والضيق واللهافة التي يكابدها .. ليثا تقبل ليهدأ قلبه الوهان والوساوس القاسية التي تضنيه .

ودق جرس الباب فطارت نفسه شعاعا ، وخفق قلبه كجناح حمامة ، ولكن ما لبث أن غطت النشوة كل مشاعره المتيقظة النشيطة المتدفقة في أعماقه ، التي لم تعرف الاستقرار ولا الهدوء مذهام بها حبا . وأصلح روجه وخف إلى الباب مسرورا ، وفتحته وقدرت على شفثيه بسمة ترحيب سرعان ما غاضت لما رأى فؤاد أمامه .

قال في صوت مضطرب :

— أهلا .. أهلا .. تفضل .

ودخل فؤاد وهو يقول :

— خيرا ! قالت لي سوسن إنك مررت على المنزل صباحا وطلبت منها أن تخبرني أن أمر عليك الليلة .

وتلفت عمر في حيرة وأسى ، وزاد في أساه أنه أحس أنها تعبت به . أنه يعلم علم اليقين أنها قاسية عابثة ، ولكنه ما كان يحسب أن عبثها يبلغ حد السخرية به وبزوجها ، وتمريفهما في الوحل .

وراح فؤاد يتحدث في بساطة .
— والله يا أخى أمرك عجيب ، لماذا لم تمر على فى المكتب : تعلم أننى
من الموظفين الذين لا يغادرون مكاتبهم أبدا .
وتحاشى عمر أن يقوده إلى الغرفة التى أعد فيها زجاجته والكأسين ،
ودلفا إلى غرفة أخرى وعمر يقول وهو مطأطئ الرأس :
— والله كنت مرتبكا ، ولم أشأ أن أقابلك فى المكتب وأنا على هذه
الحال ..

وأحسن أن حجته ضعيفة وإن كان فؤاد مستعدا أن يصدقها ، ولكنه فى
أعماقه كان يستشعر أنها حجة واهية ، فراح يقول ليبرر ذهابه إلى منزله فى
الصباح وهو يعلم أنه غائب ، فقد كان فى قرارته يشعر بالإثم .
— وما أزيد أن أفضى به إليك يحتاج إلى خلوة وهدوء .

ورنت فى أذنه كلمة « خلوة » رنيننا ساخرا مزق أعصابه وزادها تمريقا
أنه تخيل أن سوسن تضحك الآن منهما ضحكتها الهازئة المريرة . وسرعان
ما قفزت إلى ذهنه فكرة أنها قد تكون بعثت بزوجها إليه ليخلو لها الجو
لملاقاة رجل آخر غيره . إنها فاجرة قادرة على أن تستغل أسوأ الظروف
لتحصل على ماتريد . وتلوى من ألم الفكرة ، وفتن فؤاد إلى الإرهاق
الذى بدا عليه ، فقال فى إشفاق :

— ما بك ؟

فقال وهو مطرق ، يفرك يديه فى قوة :

— لم أتم بعد أن هجرتنى أحلام .

ودنا منه فؤاد وقال :

— هجرتك ؟ لماذا ؟

وأشاح بوجهه عنه وقال :

— تشاجرنا .

— ما السبب ؟

فقال عمر وهو يغالب الثورة العارمة التي اتخذت صدره مسرحا لها :
— سبب تافه من الأسباب التي تثير المشاحنات بين الأزواج غالبا .

فضحك فؤاد وهو يشير بيده إليه مهونا من شأنه ، وقال :

— أكل هذا الفزع لأنك تشاجرت مع أحلام ؟ هون عليك . الأمر

أيسر مما تتصور .

وأشار إلى نفسه وقال في سرور :

— سل مجربا .. لا بد من المشاحنات لدوام الحب في البيت السعيد .

إنها الماء الذي يروى شجرة الغرام .. إنها السماد الذي يمددها بالقوة
والحياة .. إنها مجدد النشاط .

وضحك وقال وهو يضرب عمر على ظهره :

— وبعد الصلح يبدأ شهر غسل جديد .

وراح فؤاد يداعب صديقه ويمازحه ليمسح عن صدره قلقه وكدره ،

بينما كان عمر يفكر في سوسن ، والغیظ ينهش جوفه ويزيده من أمره

عسرا .

كانت سوسن تعد الغداء وهي هادئة ، لم تفعل ولم تفكر فيما تفعله عندما تجد نفسها أمام عمر وجهها الوجه على مائدة واحدة وزوجها المخدوع بينهما . وكانت واثقة من قدرتها على ضبط عواطفها . وزاد في هدوئها أنها أصبحت تعتقد في قرارة نفسها أنه لم يعد بينها وبين عمر شيء . خلعتة كما تخلع ثوبا بلي من أثوابها ، ولفظته كما يلفظ المرء نواة البلح ، وما كان ليفكر في النواة .. بعد أن يلفظها .

فقد عمر سحره بعد أن خرجت أحلام من بيته . لم تعد هناك مغامرة إن أرادت أن تستولى عليه ، ولم يعد سلبه ممتعا . فممن تسلبه بعد أن هجرته زوجته التي كانت تمقتها أشد المقت ؟

إنها تحتقر كل ماتملكه ، يهون شأنه ويصبح كالقذى في عينيها ، وتتطلع في اشتها إلى ما في أيدي الناس وإن كان أهون مما في يدها ، ولا يحلو لها إلا أن تمد عينيها إلى أزواج صديقاتها أو جاراتها أو من رماها سوء طالعها في طريقها ، وإنها لتجد لذة في أن تقوض كل ما تواضع عليه البشر من فضل ومثل عاليه .

رمت نفسها في أحضان عمر لتسخر من أحلام وتنتقم منها ، ولتضرب معاول الهدم في خرافة الصداقة النبيلة الوفية . إنها ما أن أشارت إلى أنبل صديق بأصبعها حتى خر ساجدا عند أقدامها .

كانت مغامرتها مع عمر ناجحة ، ولكنها انتهت بعد أن حققت أغراضها جميعا . وما كانت تكفي بمغامرة واحدة ناجحة بعد أن ذاقت لذة المغامرة ولذة الانتصار .

وهي واثقة كل الثقة من أن هجرها لعمر سيعذبه ويرهقه ويضنيه
ويجبل حياته جحيما ، وأن هذا الألم الذى يستشرى في روحه هو الدم
الذى يغذى سعادتها ، ولو جاء إليها ذليلا خاشعا يتوسل لزدت روافد
نشوتها .

ليتها تستطيع إذلال الناس جميعا ، أن ترغمهم على أن يهابوها ويخشوا
بأسها وأن يسجدوا لها .

وراحت تعد السفرة وتبالغ في ترميقها ، لا ترحيبا بعمر الضيف الذى
استضافه زوجها اليوم ليتناول معهما الغداء ، إشفاقا من أن يتناول غداءه
في الطريق بعد أن تركته زوجته ، بل لتشعره بفداحة الخسارة التى منى بها
بعد أن قطعت كل سبب بينه وبينها .

وخفت إلى حجرتها تنتقى أكثر أثوابها إغراء ، وراحت تبرز كل
مفاتها لتسيل لعابه وتؤجج نار الصباية في جوفه ، ومن ثم تتركه للحرمان
يتلظى بسعيره ، وهو لا شغل له إلا التفكير فيها هى ، وإنها لسعادة أن
تعرف أن طيفها يطرد الوسن من عينيه بينما تنام ملء جفونها .

وسمعت جرس الباب يدق دقا خفيفا ، ثم صوت المفتاح وهو يدور في
القفل ، إنه فؤاد دق الجرس لينبها أنه قادم لا لينادىها للتفتح ، وتطلعت إلى
نفسها في المرآة ثم سارت لاستقبالهما .

وقال فؤاد :

— تفضل .. تقدم .. أنت في دارك .

وتقدم عمر ، وخفت سوسن إليهما وقالت وهى تصافح عمر :

— أهلا وسهلا ، تفضل .

وقادتهما إلى غرفة الاستقبال ، وجلس عمر وفي قلبه قلق الحب ، وفي عينيه وجد وعتاب ، وقال فؤاد لصديقه :

— عن إذتك أخلع الجاكطة .

ثم التفت إلى عمر وقال :

— هات جاكنتك .

فقال عمر :

— شكرا ، أفضل أن أبقى هكذا .

فقال فؤاد وهو يبتسم :

— اطمئن . لن نسرق منها شيئا .

وأراد أن يداعب زوجته فقال :

— على الأقل ، أنا واثق من أنني لن أسرق منها شيئا ، ولكن لأدري

ماذا ستفعل سوسن .

وضحك وانصرف وتركهما وحدهما .

ودق قلب عمر دقا عنيفا ، وراح يترقب في حيرة ، ثم التفت إلى

سوسن وقال في صوت هامس ينم عن العتاب :

— لماذا لم تأتي ؟

فرفت على شفتي سوسن بسمة هادئة وقالت :

— إنني لا أدخل بيوتا غابت عنها الزوجات .

فقال وهو يتألم :

— بالله دعني الهزر .

فقالت في إيمان .

— والله أقول حقا .

وأقبل فؤاد وهو يمرر يده على بطنه ويقول لسوسن :
— جعنا .

فقالت سوسن :

— الطعام جاهز في انتظاركما .

وقال فؤاد لعمر :

— ستأكل أشهى طعام .

فقالت سوسن وهي تتحرك خارجة :

— لا تمدح طعامك .. دعه يتذوقه أولاً ثم يحكم .

وقرأ عمر في عينها خبثا ، فراحت مشاعر متباينة تمور بين جوانحه .
تدفقت إفرازات الخوف والقلق والرغبة والحنان والهوان ، وراح
الإحساس بالهوان يربو حتى كاد يبتلع المشاعر الأخرى كلها ، وإذا به
يستشعر أنه جيفة تننة تغوص في مستنقع آسن كريمة .

وراح يجاهد ليتشل نفسه من المستنقع ، لينأى بها عما تردت فيه ،
ليتطهر من الوعاء النجس الذي ولغ فيه ، ليسترد كرامته المسلوبة ،
وتعود إليه إنسانيته . ولكن ما إن أطلت عليه بقامتها المشوقة حتى تبخر
كل ما كان يفكر فيه ، ولم يعد يرى ولا يحس إلا إياها .

وقالت وهي تتثنى في رشاقة :

— تفضلا .

وإذا به ينهض قبل أن يقوم فؤاد ، فهو أعجز من أن يعصى لها إشارة .
وساروا إلى المائدة ، وجلست سوسن في الصدر ، وعمر عن يمينها
وفؤاد عن يساره وبدءوا في الطعام . وراح فؤاد يتحدث أحاديث عابرة
وعمر مشغول عنه بالانفعالات التي تنفجر في جوفه .

أراد أن يطمئن إلى وجود سوسن معه ، أن يحس أنها تشعر به وتبادلها بعض ما يعتمل في صدره ، فمد رجله من تحت المائدة وراح يتحنس ساقها ، ولا مست ساقه فأبعدت ساقها عنه . لم تستجب لدعايته فانقبض وزادت مخاوفه . تيقن من أنها أغلقت نفسها دونه .

وراح يرنو إلى فؤاد وهو مشغول عنه بالغيرة التي كانت تنخر روجه . بات يغار منه لأنه زوجها يستطيع أن ينعم بها ويسعد بقربها ، بينما هو في التيه لا يدري أسمح له بالعودة إلى الجنة ، أم تلح في الصد وتدعه يقاسى وطأة الحرمان . إنها قسوة أن يطرد المرء من النعيم بعد أن يذوق حلاوته ، ولكن ماذا جنت يده حتى يطرد ؟ إنه حطم بيته ، وقسا على امرأته قسوة كان يرتجف لها فرقا لو خطرت على قلبه . أيقف مكتوف اليدين أمام صدها ؟ وماذا يستطيع رجل أن يفعل لامرأة ازورت عنه وأقامت بينه وبينها سدا من الجفاء ؟ إنه لا يملك إلا أن يتوسل .. أن يستعطف .. أن يجثو على ركبتيه يلتمس الوصال ، أو يقسو على نفسه ويطأ قلبه بالأقدام . ليته يستطيع أن يكتم أنفاس قلبه المجنون ! ليته يستطيع أن يخنقه ويستريح ! إنه ليرتجف من الرعب .. يخشى أن يكون أضعف من أن يكبح جماح قلبه الوهان . آه لو استبد به فؤاده كما يستبد به الآن ، لكتب عليه الشقاء .

والتفت فؤاد إلى سوسن وقال :

— تشاجر عمر مع أحلام وتركت له البيت . وهو كما ترين شاردا

حزين . إنه لا يصير على بعدها .

وابتسم فؤاد ، ورنت سوسن إلى عمر رنوة ساخرة وقالت :

— هذا وفاء .

وزاد انقباض عمر وزادت حيرته ، وجعل يتلفت كأنما كان يخشى أن يكشف فؤاد المشاعر الفوارة الثائرة بين جوانحه .

وقال فؤاد لسوسن :

— أرى أن تذهبي إلى أحلام وأن نلتمسى منها العودة .

وقالت سوسن في هدوء دون أن تنفعل ، أو يبدو عليها الاضطراب :

— من رأيي أنه من الأكرم للزوجين أن يسويا خلافهما دون وساطة ،

ودون أن يدعا لأحد فرصة للتدخل في حياتهما الخاصة .

وصمت فؤاد وكان ينتظر رد عمر ، ولكن عمر كان في دوامة من

المشاعر القاسية . خيل إليه أن قهقهات عالية ساخرة ترن في أغواره

وتطعن كبرياءه وتركها تنزقيها وصديدا .

وقالت سوسن :

— حاولت أحلام أن تتدخل بيني وبين فؤاد لما ساد بيننا سوء تفاهم ،

ولكنني رفضت . . قلت لها هذا أمر بيني وبين فؤاد ولا أحب أن يتدخل

بيننا أحد .

وساد صمت ، كان كل منهم مشغولا بأحاسيسه : فؤاد سعيد

بزوجته العاقلة الرشيدة ، وعمر حائق على نفسه حائر في الأفعى التي

تتلوى أمامه . لأنه يحشاها ويضيق بها أحيانا ولكنه أعجز من أن يمقتها وأن

يفك نفسه من إسارها ، وسوسن تحاول أن تتألق لشهر الرجلين معا .

التقت أحلام وسهير ، كانت أحلام ذابلة غاض لونها وذهب أمنها
وسكن الانكسار عينها اللتين كانتا تتألقان. دواما بيريح السعادة القانعة ،
وكانت سهير حزينة حقا للرزء الفادح الذى انقض كالصاعقة ليزلزل
أركان العش الذى كان رمزا للحب العاقل الرصين .

وقالت أحلام فى نبرات تقطر مرارة :

— تهتك الحجاب فى لحظة عن وجه الحقيقة البشع البغيض ، تيقنت أن
عمر يخوننى وفى بيتى وعلى فراشى ، وانفجرت جميع مقعدساتى وتطايرت
أشلاء . واكتشفت فجأة أن حياتى التى كنت أظنها مبرأة من العيوب
ينخر فيها السوس . إنها الأقسى لحظة فى حياة الإنسان تلك التى يصفعه فيها
الواقع ، ويصرخ فى وجهه ساخرًا ليقول له إنه مخدوع ، لم يكن أمامى
إلا أن أصرخ وأسب وأضرب صدره وأمزق ملابسه . ولكن ماذا يجدى
الصراخ والعيويل وقد تنائر كل شىء ؟ الماضى الجميل بذكرياته ،
والمستقبل بأحلامه وأمانيه ، ولم يبق إلا الواقع الأليم بروائح الكريمة التى
تزكم الأنوف .

أصبح حبيى فى طرفة عين غريمى الذى يؤذنى النظر إليه . الحب
المدخور تعفن فجأة وصار مقتنا وكرها . الرجل الذى كنت أفخر بأنه
زوجى تلاشى وسقط من عينى . كل شىء تغير حتى نفسى الصافية تلبدت
بغيوم البغض والحقد والأحزان .



وصمتت أحلام برهة ، ولم تبس سهر بكلمة

كانت الليلة الأولى التي عشتها بعد الكارثة رهيبة أليمة قاسية ، طار النوم من عيني ، وأرهفت حواسي ، وراحت المأساة تمر أمام خيالي كل لحظة فتجدد أشجاني وتؤجج نار جوفي . واستولت على غيرتي وراحت تطحنني طحنا وأنا أئن وأتلوى وأصرخ وإذا مس الوسن جفني فسرعان ما أهب مذعورة .

كانت ليلة محموعة رحت أهدى فيها ، أمزق شعري وأخمش وجهي ، وأضرب وسادتي بقبضتي في انفعال ، وأبصق في وجه خياله المائل أمامي ، وألطمه وأصفعه وأركله ، ولكن ما كان شيء من ذلك ليشفي غليلي ، ففؤادي الممزق الذي كان ينزف دماء حياته ما كانت هذه التخيلات لترد له الروح .

وصمتت أحلام برهة ، ولم تنبس سهير بكلمة ، كانت تحس كل نبضة من نبضات أحلام الذاخرة بالألم ، فقد عاشت ليلة رهيبة كنتك الليلة ، يوم جاءت إليها سوسن تقذف في وجهها الحقيقة المريرة ، وتعلنها أن فؤاد لفظها ليتزوجها هي ، سوسن شقيقتها ، وراحت مشاعر حزينة كابية تنتشر في صدرها ، وأخذ قلبها يخفق خفقات حب يائس يحيا بلا أمل ، وكانت خفقاته كاللوسيقى الحزينة التي تصدح في جنازة حارة .

وزفرت أحلام زفرة طويلة طردت بها بقايا الهوموم التي احترقت إثر النجوى الدائرة بينها وبين سهير ، وبدأت تستشعر أنها تتخفف من وطأة المشاعر التي كانت تضغط صدرها ولا تجد لها متنفسا ، واستأنفت مناجاتها قالت :

— واستولت على فكرة أن أراقب البيت ، أن أتربص بغريمتي حتى إذا عادت لتلويث فراشي انقضضت عليها أقتلها ، وراحت الدماء تتدفق

حارة في عروقي ، وغطت أغشية الحقد بصرى ، وقد قتلت غريمتى مرات
في خيالى ، قتلها رميا بالرصاص ، ألقيتها من الشرفة ، خنقتها بيدي ،
طعنت قلبها بخنجر مسموم ، لكت كبتها بأسناني ، حتى أحسست
سخونة وذقت طعم دمائه .

بت ليلة دامية ، الدماء تنزف منها أو تقطر من يدي ، ولكن ما أن بلغ
منى الجهد منتهاه ، وراحت ثورتي تخبو حتى رأيت أن فراشى قد تلوث
وقضى الأمر ، وأن زوجي قد ضؤل وتلاشى حتى صار أهون من أن أرقبه
أو أهتم بدنائه .

تمرغ في الوحل ، لم يعد الرجل الذى خفق قلبى بحبه وهام به ، مات
ذلك الرجل ، قبرته وأنا أبكى أحر بكاء . أما الذى يدب على الأرض الآن
كما تدب الدواب فهو رجل آخر ، لا يربطنى به سبب من الأسباب .
فقلت سهير فى اشفاق :

— إنها صدمة تزلزل الكيان وتدمى النفس ، ولكن الأيام كفيلة بأن
تأسو الجراح . لو صفحنا فإننا نرأب الصدع ونلم الفتق .
فقلت أحلام فى مرارة :

— هيات ، إنه أهون على الزوجة أن ترى زوجها مجندلا من أن تراه فى
أحضان امرأة أخرى ، رأيته بعينى .. ليتنى لم أر شيئا ولم أعلم . فما أهون
أن تصدمنا الحقيقة العارية دون أن نجد فرصة من الشك لنخدع أنفسنا .
ليتنى ظللت مخدوعة فيه واستمررت أنعم بأوهامى الكاذبة التى كانت
تسعدنى .

إننى أتمنى لو أنه استمر فى خياناته لى دون أن يجبهنى الواقع الأليم ،
ويقوض سعادتي التى رفعت على أعمدة من النفاق والرياء والأكاذيب .

كان في أيامنا الأخيرة يحوطنى برعايته ، ويعطينى بعطفه ويصب في أذنى أهازيج الهيام كأنما عادت بنا الأيام إلى صدر زواجنا . كان يشعر في قرارة نفسه بخطئه نحوى فكان يببالغ في التودد إلى ليعوضنى عما سلب منى . إننى كلما تذكرت ما كان يهمس به في أذنى أرتجف وأنقبض وتثور نائرتى ، وأتمنى لو أستطيع أن أمحوها من ذاكرتى كما تمحى من الأشرطة الأغاني والأحاديث التى مجتها النفوس .

وساد الصمت بينهما ، وراحت كل منهما تجتر ذكرياتها وفى النفس لوعة وفى القلب نار . أخذت سهير تتذكر لقاءها الأول لفؤاد ، كانت مقابلة عارضة دبرتها المصادفات . ذهبت يوما إلى النادى لتبحث عن إحدى صديقاتها ، وما كانت من المترددات على النادى . علمت منه بعد ذلك أنه ذهب مصادفة إليه لمقابلة صديق وما كان من أعضاء النادى . وتقابلا فى الممر الموصل إلى الداخل ، ونظر إليها طويلا وراحت ترقبه من طرف عينها .. أحس كل منهما أن خيطا رفيعا ربط بينهما . وتقابلا مرة ثانية مصادفة فى المترو وتبادلا النظرات ورفت على الشفاه ابتسامات ، ولم تكن المقابلة الثالثة مصادفة بل كانت وليدة تدبير وصبر ، وراح ينتظر الساعات عند محطة المترو التى هبطت فيها ، وخرجت هى إلى محطة المترو كأنما قوة ساحرة تجذبها إليها ، كانت تحس فى أعماقها أنها ستجده هناك . وكانت إجماعة من الرأس ، وتحية باللسان ، وحديث طويل ، وخفقان فى القلب ، وتلاق فى المقهى المنعزل الضارب فى الصحراء ، ورغبة فى الزواج ، وخطبة لم تدم طويلا .
وتنهدت أحلام وقالت :

— رأيتها وهي توسع خطاها لتغيب في جوف الظلام ، كانت أقرب إلى الشبح ولكن قلبي خفق في شدة ، ونبت في رأسي وهم كرية زاد عذابي وضخمي بلواي .

قالت سهير في اهتمام :

— وما ذلك الوهم الذي نبت في ذهنك ؟

فقالت أحلام وهي تشيح بوجهها كأنما تخشى أن تقع عيناها على مشهد بشع بغيض :

— لا .. لا .. إنه وهم من الأوهام .

فقالت سهير وهي تدنو منها :

— سألتك عن ذلك الوهم ما يكون ؟

فقالت أحلام في أسي وانفعال :

— راح ذلك الوهم يتضخم في سواد الليل ، واحتلت صورتها صفحة ذهني . حاولت أن أطرد طيفها دون جدوى . كانت وهي تنظر إلى بعينيها الساخرتين ترهقني .. تعذبني .. نظراتها سهام تسدد إلى قلبي ، وابتسامتها خناجر تمزق صدرى . كانت هي الشاحنة المتعالية وأنا الذليلة الخاشعة التي تتلقى السياط التي تهوى لتلهب ظهري .

ودق قلب سهير رهبة وقالت :

— من هي ؟ من تكون ؟

فقالت أحلام وهي تتحامي نظراتها :

— لا .. لا .

وزاد اضطراب سهير وإن زاد يقينها ، وقالت :

— قولى .. بالله قولى .

وراحت أحلام تجمع أطراف شجاعتها . إنها تستشعر رغبة طاغية لتفضى بسرها وتستريح ، ولكنها أشفقت أن تجرح سهير . قالت :
— إنها .. إنها ..

قالت سهير وقد اتسعت عيناها رعبا :
— سوسن .

وغطت أحلام وجهها بيديها وأجهشت بالبكاء .
انقبضت سهير واشتد حزنها حتى أحست أنها تنوء ، وزاد في أساها أن جرح نفسها الذي كاد يندمل قد نكئ . كانت تراودها أحيانا فكرة أن سوسن ورطت فؤاد ودفعته إلى الانزلاق دفعا ، حتى إذا ما تاب إلى رشده عزم على أن يصلح خطأه الذي تردى فيه . ولكن هذه المرادة كانت تعذبها ، فقد كانت تنهم نفسها بالخسة لتركها مثل ذلك الخاطر الدنيء يقتحم رأسها ، ولكنها الآن لا تجزع من مثل ذلك الخاطر بعد أن وضحت لها الحقيقة .

وراحت تسائل نفسها : إنها تفهم أن تسلبها خطيبتها لتتزوج منه ، ولكنها لا تفهم الدافع الذي يدفعها لسلب زوج امرأة أخرى . إن حرمان الآخرين مما في أيديهم شهوة من شهواتها ، ولكن هل تبلغ تلك الشهوة حد حرمان الزوجات من أزواجهن ؟ لو أن تلك الشهوة استبدت بها حقا فقد هوت سوسن إلى الحضيض .

وقفز فكرها إلى أبيها ، إنه رجل مزواج ، يركب المغامرات ويجد للذة في الإعلان عنها ، فهل جاءت سوسن ذواقة كأبيها ؟ وفزعت سهير للخاطر الطارئ وأخذت تجاهد لتبعد عنه فكرها .

وملأت صورة سوسن صفحة ذهنها فاشمأزت ، وحنقت ، ورن في
أغوارها صوت كأنه آت من مكان سحيق يهتف :
— عرسة .

ولف الضحيتين سكون قلق .. كالهذوء الذى يسبق العاصفة ..

٢٩

كانت سوسن تترين ، وتنشر الأحمر على صفحة وجهها وعلى شفثيها
بيد فنان ، وكانت منتشية فهي تتسلح لتفتك بزواج جديد ، وتنتقم من
زوجة أو همها خيالها أنها متعالية عليها .

إنها تقطن نفس العمارة التى تقطنها ، وقد جاءت إلى البيت لم تفكر في
أن تزورها أو تلتمس منها زيارتها ، إنها متغترسة لا تود جيرانها .
تقابلا في الدرج أكثر من مرة ، ولم تمد لها المرأة يدها تصافحها ولم تبش
في وجهها . كل ما كانت تفعله أن تحييا بأهدائها ، ولو تنازلت أو سأت
إيماءة خفيفة برأسها .

وأغاظ سوسن شموخها بأنفها ، وتمنت لو كسرته وأرغمتها على أن
تطأ طيء البصر في ذلة ، أو حانت لها فرصة أن تقسو عليها حتى تسجد
تحت أقدامها .

ولحنتها مرة مع زوجها ، وداعتها فكرة سلبية ، وجعلت ترقب الزوج
فألفته يمتلك سيارة يسيل لها لعبها وتشتهى أن تستحوذ عليها ، ورأت
نفسها بعين خيالها راكبة إلى جواره وهى تقول له :

— سيارة فاخرة !

فيلتفت إليها ويقول :

— تفضلي .

فتقول له وهي تمد يدها تأخذ مفاتيحها :

— شكرا .

وغمرتها نشوة طاغية ، وراحت تغذى النبتة التي نبتت في خيالها وترويهها بكراهيتها للزوجة وكان ذلك هينا ، فنفسها تتفجر بالكراهية ، وما أيسر ما تجود بها .

ودبرت أمر ملاقة الزوج في الدرج ملاقة تبلو مصادفة ، وابتسمت له وحيته . وتكررت المصادفة ، ثم كان اللقاء الأول .

لم يكن ذلك اللقاء هدف مغامرتها ، إنه البداية وإنما لتدبر الطريقة التي تقتحم بها على الزوجة دارها ، وأن تنتهز بعد ذلك فرصة غيابها عنه لتحتل فراشها ، فلذتها لا تبلغ أوجها إلا إذا دنست فرش الأخريرات .

واكتملت زينتها ، وأدامت النظر إلى صورتها في المرآة ثم ابتسمت ورمزت لنفسها بعينها ، وانطلقت إلى الباب وما أن فتحته حتى ألفت سهير أمامها . وتقدمت سهير ودخلت وجعلت تنفوس فيها وقد ملأ عبيرها الفواح أنفها . وأغلقت سهير الباب خلفها وقالت في نبرة مضطربة :

— إلى أين ؟

والفتت سوسن إلى الساعة في معصمها وقالت :

— عندي موعد هام مع الخياطة .

فقالت سهير :

— أذهب معك .

وارتبتك سوسن وقالت :
— ولكنى سأذهب أولاً لزيارة أناس ليست بينك وبينهم معرفة .
وتحركت مشاعر سهرير وانفعلت وقالت :
— سوسن ، إنك تلعين بالنار ، فكرى فى شرف زوجك .
وأحسست كأن سهرير لطمتها فقالت فى غضب :
— هذا شأن من شئونى لأحب أن أتحدث فيه مع أحد .
ولم تأبه سهرير بها ، وربت ثورتها فقالت :
— حرام عليك أن تمرغى شرفه فى الأوحال ، ثوبى إلى رشدك أتوسل
إليك .

فقالت سوسن فى تأنيب وتحذير :

— سهرير ..

واندفعت سهرير تتحدث محمومة :

— لم يعد أمرك خافياً ، رأيتك أحلام وأنت تفرين بعد أن دنست
دارها . لن تكتم أحلام سرك ، ستتحدث وتوسع الأرض إذاعة ،
وستصبحين مضغة فى الأفواه . جلبت لنفسك العار ، ولطخت زوجك
بالأفئزاز ، ودست شرفنا بالأقدام ، ملعونة أنت أينما سرت وأينما حللت .
لست أختى ، لالست أختى أبداً ، إننى بريئة منك ، بريئة من
أوزارك ، بريئة من آثامك ، بريئة من دنسك وأوضارك .
ودارت الأرض بسوسن وكادت تنهار ، ولكن عز عليها أن تضعف
أمام سهرير فتجلدت وتحاملت ، وصاحت :
— اخرجى .. اخرجى من بيتى .

ولم تأبه سهير بها ، وراحت تصيح في وجهها وقد اتسعت عيناها
وصدرها يعلو وينخفض .

— لا .. لن أبرأ من آثامك إلا إذا طهرت شرفنا بدمك . سأقتلك
وأخجو العار ، ولن يذرف أحدا عليك دمعة .
وفرعت سوسن وراحت تصيح كالخنونة :
— اخرجي يا مجرمة .. اخرجي .

وفتحت الباب .. وراحت تدفع سهير تطردها ، وسهير تردد في حنق
واحتقار :

— عرسة ، عرسة ، عرسة .

وخرجت سهير وأغلقت سوسن الباب خلفها ، وقد بلغ قلبها
حنجرتها ، علاها البهر ، وزاغت نظراتها ، وارتمت في أقرب مقعد تلتقط
أنفاسها .

وهبطت سهير مضطربة حزينة حتى الموت ، تستشعر هوانا واحتقارا
بعد أن تيفنت أن سوسن قد هوت وصارت جيفة تنهشها الذئاب . إنها
أختها وإن أعلنت براءتها منها من فوق سبع سموات ، وستقرن بها إذا
ما تحدث عنها الناس . وأحست نفسها تدمى وكبدها تنفطر ، وتمنت لو
أن خستها وقفت عند حد سلب فؤاد ، ولكنها جرت حتى نهاية الشوط
وتردت في الهاوية .

وسارت تجر رجليها جرا ، كانت مثقلة بالهموم والأحزان . ولحها
عمر ففر بعيدا حتى لا تراه . ولما اختفت عن ناظريه عاد يترقب ليتأكد أن
سوسن وحدها ، ليصعد إليها يتوسل ويذرف الدموع بين يديها ، لعلها
ترق لحاله وتجود بالوصول .

سلبت إرادته ، لم يعد له على نفسه سلطان ، وصارت أعز أمانيه أن يكتم أنفاس النداء الذى يتردد فى روحه ، أن يطفىء الظمأ الدائم الذى يحسه ، أن يسعد بالوصل لحظات وإن ذل وهان .

وجمع أطراف تهوره ، وقبل أن ينطلق لمحها هابطة فحفت قلبه ، وسرت قشعريرة فى جسمه ، وانتشر خدر فى مشاعره ، وصار كعباد الشمس يتبع معبودته أينما سارت .

وانسابت فى رشاقة بعد أن هدأت نفسها وأدت مخاوفها ولوت شفتها استخفافا ، فما كانت سهر لتخيفها أو تبدل حياتها وإن آلتها وحركت مخاوفها لحظات لا تكاد تحسب فى عمر الزمن .

وراح عمر يتبعها من بعيد ، يترقب أن تبعد عن زحمة الناس أو تعرج فى طريق هادىء ليهرع إليها يشها لواعج نفسه ، ويتوسل إليها أن تطفىء نار الحرمان التى يصلها وأن تنتشله من العذاب . وعرجت إلى طريق جانبى فراح يوسع من خطوه ليلحق بها ، مرهف الحس متوتر الأعصاب يوجس خيفة ، آه لو أوصلت أبواب رحمتها دونه لكتب عليه الشقاء .

واقترب منها يستجمع نفسه التى طارت شعاعا ، وقبل أن يسيطر على حواسه لمحها تنجه إلى سيارة أنيقة فأخرة ، وفتح الباب وقفزت إلى جوار الجالس خلف عجلة القيادة ، وأغلق الباب وانطلقت السيارة .

وتدفقت الدماء الحارة إلى رأسه ، وغامت عيناه بسحب كثيفة من الغضب حتى لم يعد يرى ما حوله ، وراح قلبه ينز مقتا ، ولفه هو ان ظل يضييق عليه الخناق حتى كاد يكتم أنفاسه .

ورن فى أغواره صوت أحلام : « أنت جيفة نمتة ، روح متقيحة ، نفس شريرة » فتلوى وأن ككلب جريح ، وأرهق حتى أحس أنه سينهار .

(م ١٢ — المستقع)

ودار على عقبيه وهو ذليل ، تحجرت مآقيه وإن سالت دموعه في
روحه تلسعها كشواطئ النار ، وانصرف حانقا نائرا منقبضا وإن لم يحزم
أمره على أن ينساها وأن يجد لنفسه سلوى بعيدا عنها .

٣٥

قالت له سوسن في دلال :

— إلى أين ؟

فقال فؤاد وهو يتأهب للخروج :

— ذاهب للقاء عمر ، ضرب لي موعدا في مكان بعيد ، ولا أدري

ماذا دهاه .. تغير وصارت تصرفاته عجيبة بعد أن خاصمته أحلام .. إني
أشفق عليه .

وسار بضع خطوات ثم التفت وقال :

— قد أتأخر الليلة قليلا .

واستأنف سيره ، ونادت سوسن :

— فؤاد ..

فالتفت وقال :

— نعم .

— منذ متى تخرج هكذا ؟

ورنت إليه رنوة ساحرة فقال وهو يعود إليها :

— آسف .

ومال عليها يطبع على خدها قبلة ، ولكنها تعلقت به . وغابا في قبلة
طويلة ، ثم نظرت إليه وقالت :
— مع السلامة .

فقال وهو يمد شفثيه :

— لا . لن أتحرك قبل أن تمسحى أثر الأحمر .

وتناولت منديله ومسحت به شفثيه ، وتلوث المنديل بالأحمر .

فتناوله وراح يقبله في يده ويقول مداعبا :

— ماذا ستقول زوجتي عندما ترى هذا المنديل ؟

فقالت وعلى شفثيها بسمة :

— لن تقول زوجتك شيئا لأنها تثق بك .

وخرج وهو يشير لها بيده وجلست على مقعد كبير وغاصت فيه

ووضعت ساقا على ساق . وتناولت مجلة راحت تقرأ فيها .

وتقضى بعض الوقت ، ودق جرس الباب . فقامت وفتحته ،

ووجدت عمر أمامها فقالت له :

— خرج فؤاد الآن .

فقال وهو يتنسم ابتسامة باهتة :

— أعرف أنه خرج للملاقاتي .. أرسلته بعيدا ليخلو لنا الجو .

ودفع الباب ليدخل ، ولكنها قالت وهي تغلقه في وجهه :

— أسفة .

ودفع الباب في شدة ودخل ، وأغلقه خلفه وهو يرنو إلى سوسن في

وله ، ولم تضطرب ، وقالت له :

— ماذا تريد ؟

فقال وهو يدنو منها ، في صوت متهدج ذليل :
— أريد أن أسعد بقربك ، أن أحس وجودك ، أن أطفئ النار
المتأججة في جوفي ، أن أعود إلى جنتك .
فقالت في إصرار :

— إن لم تخرج سأبلغ زوجي .
واستولت عليها الفكرة ، عزمت على أن تبلغه سواء خرج أم بقي
يتوسل . إنها بذلك ستقضى على العلاقة التي بينهما ، وستوغر صدر
زوجها عليه ، وستتمكن من أن تسد أذنيه عن الاتهامات التي قد توجه
إليها . لن تخشاه بعد اليوم ، ولن تخشى سهرير ولن تخشى أحلام ، فهم جميعا
أعداؤها الذين يعملون على زلزلة حياتها وتقويض سعادتها : لقد وصم
عمر نفسه بتدبير إبعاد فؤاد عن بينه ومجيئه إليها ليراودها عن نفسها ، أما
سهرير فهي شائنة لفوزها به دونها ، وأحلام امرأة تقتلها غيرها .
أصبح فؤاد يحبها ويصدق كل كلمة تتفوه بها ، وما أيسر أن تفرس في
نفسه كل هذه الأباطيل وتقوده حيث تشاء .

وراح عمر يتوسل :

— سوسن ، لا حياة لي بدونك ، فلماذا هذا الصد وليس لي جريرة
إلا أنني أحببتك ، تفتح لك قلبي ، وانسلت إلى روحي ، وسرى حبي
لك في حناياي مسرى الدم . أصبحت كل أمانى في دنياي أن أنال
رضاك ، أن أفضى ما بقى من حياتي أحترق بنار هواك ، أن أظل العابد
الذى لا يكتفى بعبادة معبوده بل يشتهي ويفنى فيه .

فقالت له سوسن وهي تشيح بوجهها عنه :

— عمر ، اخرج أرجوك .

فقال في انفعال :

— ما أقسك ! أأصد عن الماء والرى مبدول ؟ أيو صد في وجهى باب
جنتى ويفتح للآخرين ؟ إننى أحترق ، غيرتى تنهش جوفى ، الظماً يعذبنى
والحرمان يضمنينى ، وقلبى المجروح يتلمس البلسم .
أريدك .. أريدك ياسوسن ، ولن أبرح هذا المكان قبل أن أروى
غلتى ، وأسكت صراخ الوحش الكامن فى أعماق ، الذى أطلقته من
عقاله ، وزدته ضراوة وافتراسا .

ومد يده يلتمسها ، فقالت فى تهديد :

— حذار وإلا أطلقت صوتى وجمعت الجيران .

فقال وهو يرتجف :

— ما الذى غير قلبك ؟! لماذا هذا النفور ؟ إننى عمر لم أتبدل ولم
أتغير . ولكن لا .. تبدلت وتغيرت ، كنت عاقلا فسلبت عقلى ، كنت
شريفنا فسلبت شرفى ، كنت كريما فسلبت كرامتى ، كنت وفيا فسلبت
وفائى ، وإننى لست نادما على ما كان . ضحيت كل ذلك فى سبيل
حبك ، وإنه ليسرنى أن أضحى بكل شئ فى سبيل رضاك . أريدك أن
ترضى .. أريدك .. أريدك ..

وحاول أن يضمها إليه فقالت وهى تصده :

— ولكنى لا أريدك ، زهدتك ، عافتك نفسى ، ولم أعد أشتيك ..

.. اخرج ..

وثارت كرامته المطعونة فقبض على عنقها وغاب عن الوجود ، لم يكن
يخس ما يفعل ، وراح يضغط على عنقها وهو يهتف فى حب ووله :

— سوسن .. سوسن .

وصرخت صرخة مدموية مفزوعة ، ولكنه لم يسمعها . كانت كل
حواسه مركزة في إحساس غامض مخدر ، واشتد ضغط يديه على عنقها
وهو يهتف في رقة كأنما يناجئها :

— سوسن .. سوسن .

ونجارت قواها ، وراحت تنهار وهو ينهار معها ، حتى سقطت على
الأرض وهو فوقها ، يضغط على عنقها بكل ما أوتي من قوة دون أن
يدري .

وتتابع الطرق على الباب ، واشتد دفعه ليفتح ، فقد مزقت صرخة
سوسن أذان جيرانها ، ولكن عمر كان مشغولا عن كل ما حوله
بسوسن ..

وانقضت الغيبوبة التي استولت عليه لحظات ، وصك أذنيه أصوات
قرع الباب وصياح الناس فانتبه مدعورا ، ونظر إلى سوسن الملقاة على
الأرض وقد جحظت عيناها وسكنت إلى الأبد فحذر كل شيء ، انخلع
قلبه لما يتقن أن العابد قتل إلهه في لحظة جنون ، دون أن يفنى فيه .
وجزع . وانتابه يأس ولفه حزن عميق ، ونظر إلى سوسن في حنان ،
ثم دفن وجهه في صدرها وراح يبكي وينشج في عصبية وكل جسمه
يهتز .

غرفة أنيقة بها مقاعد وثيرة طويلة ، صنعت حشاياها من المطاط ، وفي ركن منها شجرة قصيرة من المعدن تدلت منها المصابيح الكهربائية ، وجلس على مقعد منها جلال وإلى جواره فتاة في التاسعة عشرة ، جميلة ولكنها أسرفت في زينتها ، وأمامها نضد فوقه جردل به زجاجة حولها ثلج ، وكأسان ملئتا سائلا اشقر .

وعلى مقعد قريب جلس رجل آخر وفتاة أخرى ، كان الرجل أصلع الرأس تمر الفتاة أصبعها على صلته وترفع الكأس إلى شفتيها بيدها الأخرى . إنها تضحك بسبب وبلا سبب ، ولكن ضحكاتها كانت أشبه بالعويل .

ورفع جلال ذقن الفتاة بأصبعه وراح يتفريس فيها مليا ، ثم قال :

— إني أحترم الآباء الذين ينجبون فتيات جميلات حسان .

وقال الصديق وهو يضحك :

— ولماذا لا تحترم أمهاتهن ؟

وضحكت الفتاة التي كانت تداعبه . وقال جلال :

— تأتي الفتيات للآباء والأبناء للأمهات . فإذا كان الأب جميلا

جاءت البنات جميلات ، وإذا كانت الأم جميلة والأب دميما جاءت

الفتيات دميمات ، والأبناء جملاء .

وضحك الصديق وقال :

— هذه نظرية جلال في الجمال .

فقالت الفتاة التي يداعبها جلال :

— هذه نظرية الكأس . اشرب يا أستاذ .

قال جلال في إصرار :

— أجزم أن أباك جميل .

فقالت الفتاة :

— كان أبى يشبهك .

وضحك الصديق ضحكة ساخرة وقال :

— كان جميلا ولا شك .

وأحس جلال كدرا ، ضايقته فكرة أن يكون أباهما أو أن يشبهه أباهما ،

كان يبتهج إذا ما انفرد بفتاة شابة صغيرة ولكنه لم يفكر من قبل فيما يكون

شعوره لو كان أباهما أحدهما ، وقال جلال ليفر من سحابة الكدر التي

مرت به :

— كان ؟ وأين هو الآن ؟

— مات وأنا صغيرة .

— الله يرحمه .

وراح يمرر يده على عنقها ليحس وجودها ويعيد البهجة إلى صدره

وقال :

— ما خلق هذا الجيد إلا ليزين بأفخر القلائد .

فقال الصديق وهو يرنو إلى جلال رنوة خاصة :

— خير ما يزينه قلادة من الفل :

وفهمها جلال فقال :

— لو كان عندي مال لا اشتريت لها قلادة من ماس .

فقال الفتاة :

— أو ليس عندك ؟؟

— كان عندي بيتان .

— كان ؟ وماذا حدث لهما ؟

— تحولوا إلى أساور وأقراط وفلائد .. إلى نهر من الخمر .

فقال الصديق وهو يضحك :

— لو كان في يد أمك سوار أو في أذنها قرط أو في عنقها قلادة ، فهي

هدية منه .

وقهقهه وضحكت فتاته ، واربد وجه الفتاة وقالت :

— بالله دعوا أُمِّي في حالها ، أقسم أنها سيدة فاضلة .

فقال جلال وهو يضمها إليه :

— دعونا مما يكدر صفونا ، نحن هنا .

ومال عليها يقبلها .

ودق جرس التليفون فقال جلال لصديقه في حنق :

— قلت لك مرارا ألا ضرورة هنا لهادم اللذات هذا .

وسار الصديق إلى التليفون ، والعيون تتبعه ، ورفع السماعة وقال :

— آلو . من ؟ تريد جلال ؟ حاضر .

والتفت إلى جلال وقد أبعث التليفون عن أذنيه ، وقال جلال دون أن

يتحرك :

— غير معقول أن يطلبني أحد هنا . دع الهزبر .

فقال الصديق :

— والله يطلبونك .

— لأحد يعرف أنني هنا إلا جرسون القهوة ، ما الذى دعا هذا
المخبول ليزعجننا الساعة !

ونفض ، وذهب إلى التليفون ، وتناول السماعة وقال :
— آلو .. آلو .

ومس أذنيه صوت مضطرب :

— آلو ! جلال بك ؟

— نعم يا ستورو .

— بالله تذهب حالا إلى البيت .

— لماذا ؟

— يبحثون عنك فى كل مكان .

— لماذا ؟ انطق .

وانبثق القلق فى قلب جلال ، وطارت الخمر من رأسه وراحت عيناه

تتحركان فى حيرة ، وقال صوت ستورو :

— الهانم الكبيرة ..

— امرأتى ؟ ماذا حدث لها ؟

— لا ، سوسن هانم .

— قل .. ماذا جرى ؟ ما الذى حدث ؟

وارتجف جلال من قمة رأسه إلى أخمص القدم ، وقال ستورو :

— خنقها عمر .

— خنقها !؟ ماتت !

— البقية فى حياتك يا جلال بك .

وسقطت السماعة من يد جلال ، ودق قلبه في رهبة ، وانفطرت
كبدته ، وجف حلقه ، وربما أساه حتى تحجرت دموعه في عينيه .
ودارت به الأرض وكاد ينهار ، فخف إليه صديقه يسنده ويسأله :
— من التي ماتت ؟
فقال كأنما يلفظ روحه :
— سوسن .

ثم انفجر باكيا كالأطفال ، وسار مطرقا حزينا والها يستشعر خزيا ..
ووقفت الفتاتان تنظران إلى الرجلين اللذين ينسحبان من المكان وفي
عيونهما رعب وعلى شفاههما صمت مطبق .

٣٣

خرج فؤاد من قسم البوليس بعد أن أدلى بأقواله لو كيل النياية مطرق
الرأس ، حزينا حتى الموت ، يستشعر خزيا ويحس أنه منبوذ ، ما أن تقع
عيننا إنسان عليه حتى تسرى فيه رعشات ، ويتفصد من جبينه عرق
الخشجل ، وتتقاصر نفسه ، ويتمنى لو أن الأرض تنشق وتبتلعه .
كان حانقا ، نفسه سوداء كليل سرمد ، والمرارة تلذع روحه ،
والضيق بكل شيء طابعه ، حتى ذاته ضاق بها . تقوضت في لحظة كل
آماله ، وتدنس ماضيه ، وانهارت مثله ، وكفر بالمقدسات جميعا . لماذا
اختاره الله هو بالذات لهذه التجربة القاسية ، والحنة التي تنقض الظهر
وتلطح الجبين بالعار ؟ لماذا هو دون ملايين البشر الذي كتب عليه أن

يفجع في الزوجة وأن يفجع في الصديق وأن يحتقر ويهان ويصبح سخرية
الناس بدل أن تذرّف من أجله الدموع ؟

كفر بالحب وكفر بالصدّاقة وكفر بالوفاء ، ولم يعد يؤمن إلا بالبغض
والمقت والكراهية التي تسرى فيه كالصديد . صارت روحه نخرة يجرى
فيها السوس ، وذاته دنيعة مشوهة تنفر منها النفوس .. إن كل نظرة تسدد
إليه تصرخ فيه : « ديوث .. ديوث » .

وبلغ ألمه غايته فكاد يصيح في الطريق كالمجنون ، وخيل إليه أن كرافته
هي التي تخنقه فراح يرخيها ويفك ياقة القميص ، ولكن لم تخف القبضة
التي كانت تضغط على أنفاسه ، إنه يتعذب عذابا قاسيا لا رحمة فيه . جميع
المشاعر القاسية الكريمة المقيمة تلهبه بسياط من نار وتصب في جوفه
الحميم .

لماذا يتحمل هو العذاب وما اقترف ذنبا ولا قارف إثما ولا حاد عن
الطريق ؟ خائنه وخدعته وسخرت منه ، ومرغت شرفه في الوحل وعبث
كأس الدنيا ، ثم تموت وتركه للخزي والعار والعذاب الأليم .
تموت وتستريح بينما هو يتلظى بنار السعير ، أهذا عدل ؟ ليته يموت
وينجو من الضنى الذي هو فيه .

وأحس دوارا وتحركت أحشاؤه وكاد ينوء ، ولم يرحمه قلبه بل راح
ينزف مشاعر سوداء تلسعه كجمرات النار ، وتخزه كسنان الحراب ،
وتنهشه ككلب مسعور .

وأن أنينا وهمس في ضميره هامس : هذا ظلم وجور . ظلم رماني به
القدر الذي اختلت في يده الموازين .

فوضى .. فوضى .. فوضى .. ، وإلا ماذا جنت يداى حتى أستحق
ما أنا فيه ؟

وراح يحاسب نفسه وإذا بصوت اتهام يشير إليه ويقول :
عذبت سهير عذابا ألما بلا ذنب اقترفته ولا جناية جنتها ، هجرتها عدا وانا
وظلما .

واشدد جزعه وربا قلقه وزاد اضطرابه وراح يتساءل : أحست سهير
يوما الحقارة التى أحسها ؟ آستشعرت هذا الحزن الثقيل الذى أنوء
بحمله ؟ أفزعته الرؤى البشعة التى أطارت النوم من عيني ؟ أقرحت
عينيها الدموع التى تحجرت فى مقلتي لتزيد فى إرهاقي وضناى ؟ أمزقت
قلبا الخناجر التى لا تفتأ تطعننى ؟ ألدعتها عقارب الكراهية التى تأكل
صدرى ؟ أخبث آمالها كما انطفأت آمالى ؟ أنزف فؤادها ألما ممضا كما نزف
فؤادى ؟ أتحركت كوامن روحها بالشجن كما تحركت كوامن روحي ؟
أظلمت الدنيا فى عينيها كما هى سوداء بشعة بغیضة فى ناظرى ؟
إننى ضائع .. ضائع ، أتخط فى دياجير نفسى المشوهة المطعونة المحقرة
المظلومة الظالمة ، الضعيفة المتهاككة ، التى ينخر فيها سوس الكفر والحنق
والياس والبغضاء .

لو أن سهير كابدت ما أكابده الآن إذن فقد ظلمتها ظلما عظيما .
كنت باغيا فدارت علىّ الدوائر ، كنت قاسيا فقسى علىّ الأيام . كنت
ندلا فجرعنى الله من نفس الكأس التى أسقيتها منها .
وأحس حاجته إلى صدر حنون يدفن فيه وجهه ويكفى ، حتى يستريح
من وطأة الأحزان الجاثمة على صدره التى تكاد تنقض ظهره ، فتذكر
أمه . وزاد أساه ، فقد ماتت وهو صغير وحرم من أطيب حنان .

وانطلق وهو ضائع حائر قلق جريح يستشعر خسة ، يضرب في بيداء الحياة يائسا يائسا وحيدا منبوذا ، تشعبت في حناياه كراهيته لنفسه وللبشرية جمعاء .

وكانت سهير في غرفة من غرف القسم مع أمها الشكلي التي ارتدت ثياب الحداد ومع أبيها الذي عرف الحزن طريقه إلى قلبه ، ولحمت فؤاد وهو خارج ينظر إلى الأرض في خزي ، فحقق قلبها إشفاقا عليه ، وتألّت له أكثر من الألم الذي أحسسته لفقد أختها .

ولم تستطع أن تكبح الرغبة التي ولدت في صدرها فقامت منسلة ، وغادرت الغرفة ووقفت برهة ترقبه خافقة القلب ، شاردة اللب ، تفكر في المشاعر التي عادت لتنبض بالحياة ثانية في أغوارها .

إنها لا تزال تحبه ، حتى إنها راحت تتهم نفسها بأنها هي السبب فيما يقاسيه الآن من عذاب ، وهي التي قادته إلى سوسن . لولاها ما عرفها وما وقع في حبائلها ، وما كان ما كان . كانت مخلب القط للقدر الذي يخط مصائر الناس .

وغفرت له ما فعله ، وأقنعت نفسها أنهما هو وهي كانا ضحيتين لظروف أقوى منهما ، ألقتهما في أتون من النار لتصهرهما ، وتخلصهما من الحبائث ليصبحا أطهر قلبا وأنقى معدنا وأصلب عودا .

وهمس في جوفها هامس : إن لذة الوصول على قدر ما في الطريق من مصاعب ومتاعب وأهوال ، ولذة النصر على قدر ما في المعركة من كفاح ونضال وأخطار .

وسارت خلفه مسحورة ، تحس أنها خلقت خلقا آخر ، أكثر تجربة

وأكثر حنكة وأكثر تسامحا ، وأعمق حبا من تلك الفتاة التي قادتها المقادير إلى ذلك الشاب الخام .

ودنت منه وقد اشتد وجيب قلبها ومشى الخدر اللذيد في أوصالها ، وقالت في صوت مضطرب :

— فؤاد ..

وانتفض كعصفور أزعجته طلقة رصاص ، ولم يجد لسانه ، وأمات اضطرابه وقلقه الكلمات التي تراقصت على شفثيه ، وكان رده أن زاد اطراقا .

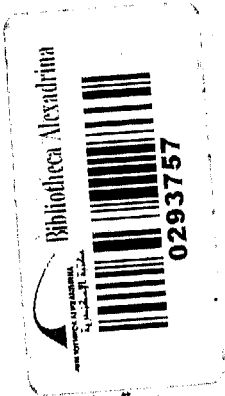
وسارت إلى جانبه ، وعجزت عن أن تكبح جماح رغباتها الثائرة الطاغية بالحنان ، فمدت يدها وقبضت على يده ، فارتجفت ولكنه أحس راحة ، وراح يضغط على يدها . فقد تسلل إلى دياجير الظلام المتراكم في أغوار نفسه بصيص من النور ، واستشعر أنه لم يعد يواجه العالم .. إنه يواجهه ويسنده قلب خفاق بالحب ، وهذا أمضى سلاح .

دار مصر للطباعة
سميد جودة السحار وشركاه

رقم الايداع ١٥٤٣
الترقيم الدولي ٩٧٧



مكتبة مصر
٣ شارع كامل مدني - البحالة



2.736

الثلث ٤٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه